السياسة الأمنية للسلطان السلجوقى علاء الدين كيقباد الأول وأثرها على التقدم الاقتصادى لبلاده

دراسة تحليلية

د. نورة عبد الله باديباب(*)

مرت دولة سلاجقة الروم كغيرها من الدول بمراحل عديدة خـــلال تاريخـــها ابتداء من مرحلة التأسيس والبناء (٤٧٤ – ٦٠٧هـــ/١٠٨١ – ١٢١٠م) مـــروراً بمرحلة النضج والازدهار (٦٠٧ – ٦٣٤هـــ/١٢١٠ – ١٢٣٧م) وانتهاء بمرحلـة الضعف والانهيار (٦٣٤ – ٧٠٠هـــ/١٢٣٧ – ١٣٠٣م) .

ومهما يمكن أن يكتب أو يقال عن صعوبة مرحلة التأسيس والبنـــــاء ، إلا أن دور النضج والازدهار كان الدور الأكثر عطاء ، وهو الدور الذى تـــرك بصماتـــه الواضحة فى تاريخ تلك المنطقة ، فلا غرو أن يطلق على ذلك الدور اسم « العصر الذهبى »[١] .

ولقد لعب السلطان علاء الدين كيقبـــاد الأول (٦١٦ – ٦٣٤هـــــ/١٢١٩ – ١٢٣٦م) الذى كان ألمع وأكثـــر سلاطين سلاجقـــة الروم تميزًا – دوراً بارزاً فـــى ذلك العصر حتى استحق لقبى السلطان العظيـــم ، وســـلطان العـــالم[٢]. فالسياســـة الأمنية التى اتبعهـــا بمنطق سليم وصارم بهدف حفظ أمن السلطنة وتنميـــة الحيـــاة الاقتصادية فيها ، جعلت اسمه يخلد فى التاريخ كأعظـــم رجـــل سياســـة عرفتـــــه آســـيا الصغرى فى العصـــور الوســـطى (القرن الثالث عشر الميلادى / الســـابع الهجرى) وهو عصر نهوض الاقتصاد ونمو العلاقات التجارية .

وقد اتبع علاء الدين كيقباد فى سبيل تنفيذ هذه السياسة كل الوسائل الممكنـــــة الديبلوماسية ، والحربية ، واستطاع إحراز الكثير مـــن النجاحـــات فـــى الميـــادين الخارجية والداخلية مما كان له أثره فى ازدهار الوضع الاقتصادى لبلاده .

(*) جامعة الملك عبد العزيز – جدة .

ففى الميدان الخارجى وعلى الحدود الغربية لم تشـــكل إمبراطوريـــة نيقيـــة البيزنطية[٣] خطرًا حقيقيًا أو تهديدًا مباشرًا لسلاجقة الروم بل على العكـــس كـــانت تشـــكل ترسًا ضد الصليبين اللاتينين الذين كانوا يعدون الأعداء الغربيـــين للـــروم البيزنطيين بعد استيلائهم على القسطنطينية سنة ١٢٠٤م[٤] .

واستمر التقارب والوفاق بين سلاجقة الروم وإمارة نيقية البيزنطيـــة طـــوال عهد كيكاوس الأول وأخيه كيقباد الأول ، بل زاد هذا التقارب بين الطرفيـــن عنـــد مجئ الغزو المغولى لآسيا الصغرى[٥] .

وهكذا لم يكن هناك خطر يذكر من جهة الحدود الغربية مما وافـــق خطـــط السلطان كيقباد الأول الذى كان يرغب فى استمرار رفاهية وأمـــان شـــعبه علـــى الحدود الغربية وعدم رغبته فى أن تعيش فى اضطراب[٦] .

أما بالنسبة للحدود الأخرى لدولته فقد كانت سلطنة ســـلاجقة الـــروم بحكـــم موقعها الجغرافى ممرًا لكثير من الطرق التجارية العالميـــة ، فضـــلا عـــن تملـــك سلاجقة الروم لكثير من المراكز الهامة الواقعة على الطرق التجارية الكبيرة ، لـــذا كان من الطبيعى أن يبذل علاء الدين كيقباد من الجهود ما يحقق بـــه الإشـــراف على تجارة العبور وذلك بتأمين هـــذه الطرق وبالتكفل بدفـــع كـــل مـــا يمكـــن أن يعرض لها من خطر .

وبناء عليه انطلقت السياسة الأمنية وفق خطوات صائبة منذ توليـــه العـــرش وارتكزت على أساس حماية سواحل بلاده أولاً باعتبار أن المنـــافذ البحريـــة التـــى اكتسبها سلاجقة الروم هى موانئ مهمة تخدم تجارة العبور مـــن نـــاحيتى الشـــمال والجنوب ، فضلاً عن حرصه الكبير واهتمامه البالغ بحماية طرق التجـــارة البريـــة ومحطاتها وهو ما دفعه إلى الاتجاه بعزيمة نحو شرق بـــلاده (الحـــدود الشـــرقية لدولته) .

قام علاء الدين كيقباد بمجرد جلوسه على العرش ، وبتوجيـــه مـــن بعـــض أمرائه ، بفتح حصن كالونوروس وقلعة آلاره على الساحل الجنوبى لبـــلاده والتـــى

كان من الممكن أن تكون محور ارتكاز للقبارصة والفرنج الآخرين ، وغير اسمها إلى العلائية (العلايا) . وأنشأ فيها ترسانة بحرية لخدمة أسطوله ولحماية أنطالية[٧] . وتم بذلك تأمين الساحل الجنوبى لبلاده .

كذلك هيأ فتح علائية وتأمين أنطالية الطريق لإقامة علاقات تجارية عن طريق البحر مع قبرص وسورية ومصر[٨] . ووصل إلى الأراضى السلجوقية. التى أصبحت تمثل عصب تجارة العبور فى القرن الثالث عشر الميلادى / السابع الهجرى ، التجار البروفانسيون والبنادقة والمصريون الذين كانوا يمارسون تلك التجارة بين سينوب وقونية وقبرص والإسكندرية والجزيرة ويحملون مختلف البضائع من الشعير والصوف والجلود والحرير والخام المشغول بل وحتى المجوهرات والفراء والرقيق وغيرها من البضائع الثمينة[٩] . وزاد كيقباد الأول من عظم أهمية الطرق التى تمر عبر أراضى دولته بتأسيس نوع من نظام تأمين الدولة وفرض ضرائب جمركية معقولة[١٠].

وقد تابع علاء الدين كيقباد الأول اتخاذ التدابير الفعالة الهادفة لحماية طرق التجارة الدولية (العبور) فقام بعد فتح علائية وفى الفترة بين ٦٢٣ - ٦٢٥هـ بعدة حملات عسكرية لإعادة الأمن والاستقرار لبعض المناطق التى تعرض فيها التجار لبعض عمليات القرصنة .

ويذكر المؤلفون فى هذا الشأن أن ثلاثة من رعايا السلاجقة دخلوا على خيمة السلطان علاء الدين كيقباد أثناء تواجده فى قيسارية يشكو أحدهم من مشكلة قرصنة تعرض لها من جانب الروم والقبجاق عبر الخزر سرقوا فيها كل أمواله التى أضاع حياته من أجلها ثم جاء شخص آخر يشكو من اضطراب أمن الطرق المتجهة والقادمة من حلب وخاصة عند عبورها ولاية تكفور[*] بلاد

(*) تكفور : لقب عام يقصد به كل من جلس على عرش مملكة أرمينية الصغرى ، مثلما لقب إمبراطورية الدولة البيزنطية بالأشكرى ، ومالك الحبشة بالحطى والنجاشى . ابن فضل الله العمرى : التعريف بالمصطلح الشريف ، ص٥٥ ، مطبعة العاصمة ، مصر، ١٣٢١هـ . وسعيد عاشور : بحوث ودراسات فى تاريخ العصور الوسطى ، ص٢٣٩ ، بيروت ، ١٩٧٧م .

سيس(*) ليفون(*) الأرمنى[١١] . Lifon حيث سرق الكفار أمواله. وأخيرا جاء شخص ثالث من أهالى انطالية يتحدث عن سرقة الفرنج لسفينته التجارية وفيها أمواله وأموال أصدقائه وقاموا بأسرهم[١٢] . فأثارت هذه الحكايات مشاعر السلطان وأمر بتطييب قلوبهم بسرعة وصرف أموالا لهم من خزائنه[١٣] . وأمر رجاله بالتحقيق حول هذه الوقائع وتقديم التعويضات للمتضررين ، ثم التفت جهة أمرائه قائلا : (الروم إن لم تغز غزت) ، وهو مثله المشهور ، وأضاف قائلا « نحن مسؤولون عن إعاشة هذه الشعوب فى أمن وسلام »[١٤] .

وهكذا أذن علاء الدين كيقباد للقوة العسكرية بالتدخل لحل تلك المشاكل، فأرسل حملة بقيادة الأمير حسام الدين جوبان(*) إلى القرم على رأس قوة بحرية تحوى العديد من السفن وبالتحديد صوب سغداق وذلك فى سنة ٦٢٢هـ/١٢٢٥م ، وتمكن الجيش السلجوقى من احتلالها فى سنة ٦٢٥هـ[١٥] . وكان التجار الذين شكوا إلى السلطان مع الأمير ، فاستعاد جميع ما نهب من أموالهم ومتاعهم ورده إليهم[١٦] . ومد الأمير نفوذه إلى الداخل واستطاع فرض سيطرته على ممالك القبجاق والإمارات الروسية[١٧] . وفرض عليهم الجزية والخراج وأنشأ السلاجقة جامعا هناك ، وعينوا قاضيا وخطيبا ومؤذنا للجامع ومجموعة من الحراس[١٨] . ثم ركبوا السفن المحملة بالغنائم وعادوا إلى سينوب وقسطمونى[١٩] .

(*) سيس : هى عاصمة أرمينية الصغرى . سعيد عاشور : بحوث ودراسات فى تاريخ العصور الوسطى ، ص٢٣٩ .

(*) ليفون : أحد الألقاب التى اختارها المسلمون لملك أرمينية الصغرى وكذلك ابن لاون وهو تحريف للفظ ليون أو ليو أول ملوك أرمينية الصغرى . سعيد عاشور : بحوث ودراسات فى تاريخ العصور الوسطى ، ص٢٣٩ .

(*) حسام الدين جوبان : أمير قسطمونى ، وزعيم التركمان الأوج الذين اشتهروا بالبسالة وشدة المراس وكان مشهورا بذكائه وبطولته وكثرة أتباعه وجنده .

Osman Turan: Selcuklulan Zamaninda, p. 358.

وكان يلزم القيام بحملة ضد الأرمن فى قليقية لوقوع هجمات علـــى التجـــار والقوافل القادمة من الجنوب وفقدان الطريق لأمنه وأمانه . والمعـــروف أن قليقيـــة كانت تشكل خطرا شديدا على المسلمين نظرا لطبيعتها الجغرافية الوعرة إذ يصعـب غزوها عن طريق بلاد الشام(٢٠) . كما كان فى مقدور القوى المعادية التى تســيطر على قليقية شن الغارات على أعمال حلب والعودة عبر بوابات قليقيـــة والتحصـــن بمعاقلها الجبلية . وذلك مثل ما حدث فى عهد علاء الدين كيقباد من اعتـــداء علـــى التجار القادمين من حلب عبر أراضى قليقية . فقام علاء الدين بجمع جنـــوده فـــى قيصرية استعدادا لحملة ضد الأرمن واستخدم التركمان الذين تجمعوا بأعداد كبـــيرة على الحدود . واتجه الجيش السلجوقى إلى قليقية . بقيادة الأميرين مبـــارز الديـــن جاولى الجاشنكير(*) والأمير كومنانوس موزد الرومى(٢١) .

وقرر الاثنان الاستيلاء على كل القلاع التى تصادفهما فـــى طريقـــهما إلـــى أرمينية ورفع أعلام السلطنة عليها . ووصلوا بعد فترة وجيزة إلى أقوى وأحصـــن القلاع وهى شينشن Cincin فأمر الجاشنكير جاولى الجنود بفرض الحصار علـــى هذه القلعة الشهيرة ، مما اضطر الأهالى إلى طلب المساعدة والعـــون مـــن ليـــون الأرمنى ، وأرسل ليون رسالة مؤثرة إلى الفرنج يطلب فيها العون، ويشـــعل فيـــها الغيرة والتعصب المسيحى فأرسلوا له من الجند والمدد مـــا لا يحصـــى . وتقـــابل الجيش الأرمنى مع الجيش الإسلامى ، وثبت المسلمون وأطلقوا رماحـــهم ونبالـــهم على الأعداء الكفرة ، وقتلوا وأسروا منهم الكثير ، وهرب ليفون ونفر ممن معـــه ، وغنم غنائمهم المسلمون . فما كان من أهالى القلعة بعد هذه الهزيمة إلا أن أرســـلوا أحد رهبانهم يطلب الصلح ، فأجابه إليه الأمير الجاشنكير مبارز الديـــن ، وعقـــدت معاهدة أمان ، أخلى بموجبها الأرمن القلعة ورحلوا . ورفعت أعلام السلطنة علـــى

(*) الجاشنكير : الأمير الذى يقوم بتذوق المأكول والمشروب قبل السلطان أو الأمير خوفـا من أن يدس عليه فيه سم . القلقشندى : صبح الأعشى فى صناعة الانشـــا ، جـــ٥ ، ص٤٦٠

أبراج القلعة ، وبعثت البشائر للسلطان . وطلب قواد الحملـــة الإمـــدادات والمـــؤن لمواصلة الفتوحات فى أرمينية مما أوقع الرعب فى قلوب الأرمن الذين بعثوا إلـــى الأمراء بطلب الصلح مقابل دفع الجزية ضعفين ، وإمداد جيـــش المســـلمين بـــألف وخمسمائة من الجند المشاة للمشاركة فى الحرب والقتال ، وضرب اســـم الســـلطان علاء الدين كيقباد الأول على العملات النقدية التى تسك[٢٢] .

وبعث الأمراء رسالة ثانية إلى السلطان يبلغونه أمر العرض الجديد وكانوا قد أتموا فتح كل القلاع الأرمينية . فقام السلطان بإرسال فرمان ورسالة تتضمن الشـكر لملك الأمراء والأمير كومنا نوس على جهودهم كما كتب عهد أمان عفى فيه عـــن اخطاء ليون . وطلب منه أولاً تقديم كل التعويضات للتجار الذين اغتصبت أموالـــهم من طرف اغنياء ورجال شعب القلاع التى تمكن قواد كيقباد من فتحها مع الزيـــادة ودفع الجزية مضاعفة[٢٣] . كما أمر أن يسلم أمر هذه الولاية وما فيها من قلاع إلـى أحد أمرائه وهو الأمير قمر الديـــن وأن يعـــود الأمـــراء مبـــارز الديـــن جـــاولى وكومنانوس إلى مقر السلطنة لشرح مجريات الحرب ، كما أمر أن يعود الجند إلـــى أوطانهم للراحة[٢٤] .

وفى الوقت الذى كان فيه ملك الأمراء حسام الدين جوبان يقوم بفتح ســـغداق ومبارز الدين جاولى وكومنانوس بفتح أرمينيا . كان واحدًا من أقدم عبيد الســـلطنة وهو الأمير مبارز الدين أرتقش حاكم أنطالية يتخذ طريقه نحو الســـاحل الجنوبـــى وتمكن من فتح ما يقرب من أربعين قلعة . وعلى الرغم من أنه لاقى مقاومة شـديدة من الفرنج إلا أنه تمكن من هزيمتهم خاصة عندما زادت حدة المعركة ، ثم أجـبرهم على إخلاء القلاع ، فهرب معظمهم فى جنح الليل واضطر بقية أهـــالى القـــلاع أن يطلبوا الأمان عندما شعروا بعجزهم[٢٥] وبعد أن أكمل مبارز الدين ارتقش السـيطرة على الساحل أرسل إلى السلطان بأخبار هذه الفتوحات وطلـــب منـــه الســـماح للقيـــام بحملة على جزر الفرنج (قبرص) . ولكن السلطان لم يجبه إلـــى طلبـــه ، واكتفى بتوجيه الأوامر إلى ارتقش لإعادة دفع وسداد كل حقوق التجار بل وزيادتـــها

ثم عودة الجند إلى بلادهم . وعاد مبارز الدين ارتقش إلى قيصرية ليعـــرض علـــى السلطان أعمال الفتوحات التى قام بها ، ولاقى من إكرام السلطان الشئ الكثير[٢٦] .

وهكذا استطاع علاء الدين كيقباد خلال حملاته العســـكرية أن يحقـــق عـــدة أهداف خدمت النواحى الاقتصادية لدولته .

أولها : حماية منافذ الدولة البحرية وتأمينها مـــن النـــاحيتين الجنوبيـــة والشـــمالية بتأسيس ميناء علائية على البحر المتوسط ، وبالاستيلاء على سغداق علـــى ساحل البحر الأسود . مما أدى إلى تزايد كثافة وحركـــة الســـفن التجاريـــة المحملة بالبضائع المختلفة وتشجيعها على الإبحار والرسو فى تلك الموانـــئ بأمان . بما فيها سفن الدول المسيحية مـــن بنادقـــة وبروفنســـايين وحتـــى اللاتين[٢٧] .

ثانيها : تأمين التجار على أرواحهم وأموالهم بتأديب الدول التى كان أفرادهـــا مـــن روم وأرمن يمارسون القرصنة ، وإجبارهم على تعويـــض التجـــار الذيـــن سرقت بضائعهم وسفنهم ، بل إننا نجد كيقباد يؤسس نوعا من نظام تـــأمين الدولة أو الضمان الحكومى الذى لم تعرف تفاصيله ، وذلك عن طريق دفـــع تعويضات من خزينة الدولة للتجار الذين يتضررون مـــن فقـــدان وضيـــاع بضاعتهم وأموالهم ويتعرضون لهجمات القراصنة والأشـــقياء[٢٨] . فـــأمن التجار واستمروا فى ممارسة نشاطهم التجـــارى عـــبر أراضـــى الدولـــة السلجوقية الآمنة بشكل ملحوظ فى عهده وأصبحت المدن السلجوقية ملتقـــى لنشاط أولئك التجار على اختلاف جنسياتهم ، ومراكز لتصريف بضائعهم .

ثالثها : تأمين مصادر الجزية ، حيث أنه من المعروف أن الجزيـــة كـــانت تمثـــل مصدرا من المصادر المالية لدولة سلاجقة الـــروم الإســـلامية[٢٩] . لذلـــك حرص كيقباد على تحصيلها وقد أجبرت السيطرة السلجوقية على المنـــاطق والقلاع التى فتحت خلال عمليات التأديب ، حكام تلك المناطق على إبـــداء

مظاهر الخضوع والتبعية ليس فقط بسك اسم السلطان علـــى العملـــة ، أو بتقديم المساعدات العسكرية ، وإنما أيضا بتأدية الجزيـــة بـــل ومضاعفتـــها أيضا . ويظهر ذلك واضحا عندما سمع كيقباد بعصيان أمير العلايا وخيانتـه وسعيه لتسليم القلعة للفرنج القبارصة ، « فغضب السلطان غضبـــا شـــديدا وجمع معيته ، ووصل إلى علائية خلال شهر . وبعد التحقق من الأخبـــار التى وصلت له تبين بالفعل أن حاكم القلعة كان ظالما وخائنا حيـــث شـــهد عليه الأئمة والحفاظ وشرحوا مقاصده السيئة . فـــأصدر الســـلطان كيقبـــاد الأوامر بتوقيع أقصى العقوبة به وبالذين يقومون بنفـــس الخيانـــة ، والتـــى تنص على تقطيع جسده وتعليقه على أبراج القلعة . فلما بلغت أخبار هـــذه العقوبة الرادعة مسامع ملوك وأمراء الساحل ، قاموا بجمع الجزية والخراج طواعية وأرسلوها لأعتـــاب الســـلطان »[٣٠] . كمـــا كـــانت طرابـــيزون وإمبراطورية نيقية البيزنطيتان تدفعان الجزية لســـلاجقة الـــروم ، وكـــانت المبالغ الكبيرة التى التزم إمبراطور طرابيزون بدفعها لدولة الســـلاجقة قـــد زادت من قوة وثراء دولة سلاجقة الروم وظل أباطرة طرابيزون يدفعـــون الجزية لسلاجقة الروم حتى الغزو المغولى سنة ٦٤١هـ/١٢٤٣م .

سياسة علاء الدين كيقباد نحو المناطق الشرقية وأثرهـــا علـــى النواحـــى الاقتصادية لدولته :

أولى سلاجقة الروم منذ بداية حكمهم اهتماما بالمناطق التـــى تقـــع شـــرقى دولتهم، وازداد هذا الاهتمام فى بداية القرن الثالث عشر الميـــلادى . وأمـــا عـــن الأسباب التى دفعتهم إلى التوجه نحو الشرق فيبدو أنها غامضة إلى الحد الذى دفـــع بالمؤرخ الفرنسى كلود كاهن أن يطرح التساؤلات الآتية :

١ - « هل كان الأمر يتعلق بإرادة توسعية طبيعية دفعتها للاســـتفادة مـــن تشـــرذم الدول المنافسة لها كما هو شأن كل دولة قوية ؟ » .

٢ - « لقد قاموا بتوحيد شرق آسيا الصغرى لصالحهم ، فهل كـــانوا يريـــدون أن يضيفوا إليه كل الدول التى يقطن بها جزء من الســـكان الأتـــراك أم كـــانوا يريدون إبطال الدسائس التى يمكن أن تحاك بداخلها ؟ » .

٣ - « هل كانوا يعتقدون بأنه كلما اتسع نطاق دورهم العازل أمكنهم القضاء علـــى الهجمات المتوقعة بشكل أفضل ؟ »[٣١] .

ومع أخذ كل التساؤلات التى طرحها كلود كاهن فى الاعتبار ، إلا أنه يبـــدو أنه أغفل طرح التساؤل الأكثر أهمية والتساؤل الذى يدور حـــول احتمـــال وجـــود أطماع اقتصادية لدى سلاجقة الروم فى توجهاتهم نحو الشرق ، وعلى الأخص فـــى عهد السلطان علاء الدين كيقباد الأول الذى كان يمثـــل ذروة التقـــدم الاقتصـــادى لسلاجقة الروم .

وبما أن المراكز التجارية لسلاجقة الروم والتى كانت تخدم تجـــارة العبـــور خلال حكم كيقباد الأول كانت تقع شرقى طريق انطالية - سينوب[٣٢] ، فإنـــه مـــن المرجح أن كيقباد الأول فى سياسته الشرقية كان يهدف إلى إيجاد طوق أمنى يحمـــى الطريق التجارى وما يقع عليه من محطات ومدن تجارية . ولكى ندرك مدى أهميـــة العامل الاقتصادى فى توجيه سياسة كيقباد نحو الشرق ، كان لا بد من إلقاء الضـــوء على الأهمية الاقتصادية التى تمتعت بها المدن الواقعة على الحدود الشرقية لدولتـــه سواء كانت تلك المدن تتبع سلاجقة الروم أو تتبع غيرها من الدول المجاورة .

وهنا كان لا بد من الاكتفاء بعدد المراكز الإداريـــة الأساســـية التـــى كـــانت موجودة فى يد سلاجقة الروم عندما اعتلى كيقباد الأول العرش . وذلك لعدم وجـــود خرائط تشير إلى كل تفصيلات الحدود والتى يمكن مقارنتها بالخرائط العصريـــة . وكانت المراكز الإدراية الهامة تشمل قونية ، هرقلة ، نيكده ، آقســـرا ، قيســـارية ،

البستين ، ملطية ، سيواس ، طوقات ، أماسية ، سينوب ، قسطمونى ، قير شـــهر ، أنقرة ، آقشهر ، اسبرطه ، انطالية(*) .

ولقد شكلت معظم المدن السلجوقية فى آسيا الصغرى مراكز تجاريـــة هامـــة وحيوية خدمت الحركة التجارية الداخلية ، وحركة تجارة المـــرور ، خاصـــة تلـــك المدن التى كانت تقع فى النواحى الشرقية للدولة ، مثل سيواس ، قيسارية ، ملطيـــة وآقسر ، وغيرها .

كذلك ارتبطت تلك المدن السلجوقية مع غيرها من المدن التجاريـــة الشـــرقية الواقعة فى منطقتى الجزيرة والشام . ومن المعروف أن تلك المدن الشرقية ســـواء ما كان منها فى آسيا الصغرى أو فى الجزيرة أو فـــى الشـــام عرفـــت بشـــهرتها الاقتصادية وغمرت بالأسواق التجارية إما لوقوعها علـــى الطـــرق التجاريـــة ، أو لوفرتها الاقتصادية من الناحيتين الزراعية والصناعية . ويعتبر هذا تفسيرا منطقيـــا لسياسة الاهتمام والحرص الشديدين اللذين أولاهما الســـلطان كيقبـــاد لكـــل مـــن : سيواس ، أرزنجان ، أرزن الروم ، خلاط ، آمد ، بل وحتى حلب .

وفى ضوء ذلك يمكن القول أن السياسة الشرقية لعلاء الديـــن كيقبـــاد الأول كانت تدور فى المقام الأول حول حماية طرق تجارة العبور أو المرور التى شـــكلت المدن الشرقية جزءا مهما منها .

أما بالنسبة لسيواس التى كانت تمثل قصبة التجارة السلجوقية فقد لعبـــت دورا هاما فى تنمية الاقتصاد السلجوقى ، حيث كانت مركزا تجاريا حيويا تتفـــرع منـــه الطرق الداخلية نحو أماسية وتوقات ، وآقسراى وقيســـارية ، وقونيـــة العاصمـــة ، ومنها إلى أنطالية وعلائية على الساحل الجنوبى لآسيا الصغـــرى ، وهـــو طريـــق التجار البروفانسيون والبنادقة والمصريون . هذا علاوة على الارتباط الـــذى كـــان بين سيواس وتجار القرم عن طريق موانئ سينوب وسامسون . فقـــد قـــامت فـــى

(*) انظر مواقع هذه المدن على خريطة رقم (١) .

عصر علاء الدين كيقباد الأول (فى النصف الأول من القرن الثالث عشر الميلادى) « حركة تبادل تجارى كبرى بين السكان المسلمين فى آسيا الصغرى وبلاد الشام وبلاد ما بين النهرين من جهة ، وبين سكان جنوب روسيا (القفجاق) من جهة أخرى . وكان تجار بلاد الروس والموصل يتقابلون عادة فى سيواس بأعداد كبيرة تكفى لتشكيل قوافل ، يمضون بها صوب البحر الأسود عبر إقليم سلاطين سلاجقة الروم عن طريق سينوب وسامسون ويعبرون البحر ليصلوا إلى جنوب بلاد الروس[٣٣] .

وكانت مدن سلاجقة الروم فى ذلك الوقت ترتبط بالشرق الأقصى بواسطة الطرق المارة من فارس وتبريز[٣٤] . وكان أشهر تلك الطرق طريق يربط بين تبريز قاعدة إقليم أذربيجان وأهم مدنه التجارية وبين قونية ، ويبدأ من تبريز فى اتجاه الشمال الغربى إلى مدينتى أرزن الروم وأرزنجان اللتين كانتا تقومان بحراسة هذا الطريق الهام من جهة الشرق[٣٥] . ومنها إلى الغرب حتى سيواس ، ومنها فى اتجاه الجنوب الغربى إلى مدينة قيسارية ، ومنها إلى الغرب مع ميل للجنوب إلى قونية العاصمة . ويستخدم هذا الطريق فى نقل منتجات الشرق كالتوابل ، والبخور، وسكر الهند ، وخزف الصين ولآلى الخليج العربى إلى بلاد سلاجقة الروم ، كما كان هناك طريقين آخرين يتجهان نحو سيواس أحدهما من بلاد الجزيرة ، والآخر من بلاد الشام ، وهو الطريق الذى يرتاده التجار السوريون[٣٦] ، ويربط بين حلب وقيسارية وهو الذى أعطى أهمية وحيوية كبيرة لمنطقة الإسكندرونة[٣٧] وهنا تجدر الإشارة إلى أهمية حلب فى تلك الفترة حيث كانت المركز التجارى المتوسط بين الشرق والغرب، وأصبحت فى العصور الوسطى تحتل أعظم مدخل للتجارة الشرقية[٣٨] . وكانت البضائع التى تأتى من البلاد الشمالية عن طريق موانئ سينوب وسامسون وطرابيزون توزع على مدن سواحل البحر المتوسط وحلب ومنها إلى بقية العالم الإسلامى[٣٩] . وأهم هذه البضائع تتمثل فى الفراء والرقيق[٤٠]. كما شكل الصابون سلعة تجارية هامة كانت تصدر من حلب إلى

سلاجقة الروم هذا عدا عن كونها سوقا مهما لحجر الشب(*) الذى كان يصدر إليها من سيواس(٤١) . وما يهمنا فى الموضوع أن حلب كانت أكثر الممالك الأيوبية الشامية فى ذلك الوقت تأثرا بمجاورة دولة سلاجقة الروم ، نظرا لوقوعها فى شمال الشام ومجاورتها لها ، فضلا عن تداخل الثغور الشامية والجزرية بين المملكتين حيث كان بعضها يتبع مملكة حلب وبعضها الآخر يتبع دولة سلاجقة الروم . وتظهر أهمية المناطق الشرقية فى احتوائها أيضا على الثروات المنجمية التى اهتم سلاجقة الروم بتنميتها واستغلالها منذ أوائل القرن الثالث عشر الميلادى فى أرجاء الدولة ، مثل الحديد والنحاس والفحم وحجر الشب ، وكانت معظم هذه المواد الخام تتوافر فى المناجم الواقعة فى المناطق الشرقية من الدولة فحجر الشب كان يتوافر فى المناطق الواقعة حول سيواس ، واشتهرت ديار بكر بمناجم النحلس. كما تجدر الإشارة إلى سلعة اقتصادية أخرى اشتهرت بها المناطق الشرقية ألا وهى السمك المجفف الذى اشتهرت به بحيرة خلاط وأرجيش وهو من أهم الصادرات إلى بلاد الروم ومنها إلى الشواطئ الشمالية على البحر الأسود .

وهنا نود أن نشير إلى أنه على الرغم من أن سلاجقة الروم أصبحوا فى الربع الثانى من القرن الثالث عشر بلدا مصدرا ، إلا أن استيراداتهم ظلت تزيد على صادراتهم(٤٢) . وإذا ألقينا نظرة على مستوى البضائع التى كان سلاجقة الروم يستوردونها من البلدان الشرقية وأهميتها فى تلك الفترة لأمكننا أن نضيف عاملا آخر من عوامل اهتمام السلطان السلجوقى علاء الدين كيقباد بتأمين المناطق الشرقية وإنعاش طرق التجارة التى تمر عبرها ، فلم يقتصر سلاجقة الروم على استيراد القطن من مصر وإنما كانت حماة وحلب تقومان أيضا بتصدير القطن الجيد

(*) الشب : يعتبر حجر الشب من المعادن الهامة التى تنتجها سلطنة سلاجقة الروم . وكان هذا الحجر يستخدم على نطاق واسع فى صناعات العصور الوسطى كالأدوية والصباغة ودباغة الجلود . وأشهر محاجره فى آسيا الصغرى ، فى آقسراى ، وسيواس ، والوباد ، وقراحصار وكوتاهيه .

لسلاجقة الروم ، أما الأنواع الأجود منه والممتازة فتأتى من أرمينيـــة الصغـــرى ، وتصدر إليهم بغداد الصوف الناعم الخفيف الجيد الصنع والذى يستعمله الســـلاجقة لعمائم سلاطينهم ووزرائهم ، ويأتيهم من بغداد أيضا المسك وأعواد الند والعنـــبر ، أما الحرير الممتاز والباهظ الثمن فيأتى من الصين ، ويأتيهم السجاد من بلاد فـارس وخاصة من شيراز وبلاد ما وراء النهر ، أما الأحجار الكريمة التـــى شـــغف بـــها السلطان ورجال بلاطه فتأتى من آسيا الوسطى . وتقـــدم لـــهم جورجيـــا الخيـــول الأصيلة ، ويأتى الفراء بكميات كبيرة من روسيا[٤٣] .

وإذا رجعنا إلى الخريطة[*] يتضح لنا أن الحد الشرقى لدولة سلاجقة الـــروم عندما تولى كيقباد العرش كان يقوم على الفرات الأعلى حيث تقع مدينـــة ملطيـــة (التى كانت تمثل قاعدة الثغور الجزرية) ، أهم مدن الولايات الشرقية، التـــى تقـــع شمال الجبل الدائر[٤٤] شرقى الفرات حيث تلتقى سلسلة جبال بنطـــس مـــع جبـــال طوروس الأرمنية[٤٥] .

وكانت تلك التضاريس الجبلية المحيطة بالحدود الشرقية لســـلاجقة الروم أحد العوامل التى دفعت سلاجقة الروم لمحاولة التوسع عـــبر جبالهـــم فـــى الســـهول الزراعية الخصبة لشمال الشام وديار بكر[٤٦] . وقـــد أغرى خصب تلك الأراضـــى السلطان علاء الدين كيقباد الأول للتقدم نحوها بقصد اســـتغلالها وتهيئتـــها لتكـــون أماكن مناسبة لتوطين التركمان[٤٧] ، إذ أنه أدرك ضرورة الاهتمام بقضية توطيـــن تلك الجماعات التركمانية والاستفادة منها فى زراعة تلك المناطق وتنميـــة قدراتـــها الاقتصادية ، وجذب التركمان للعيش فيها بقصد الحد من خطـــر انســـياحها داخـــل الأراضى السلجوقية ، وحماية الطرق التجارية ومناطق الزراعة الغنية من أعمالـــها التخريبية . وكأن كيقباد استشف ما قد يحدث من اضطرابـــات علـــى يـــد أولئـــك التركمان من جهة الشرق خلال حياته وبعـــد مماتـــه مثلمـــا فعـــل الخوارزميـــون

(*) انظر خرطية رقم (١ ، ٢) .

والتركمان الإيوانية وغيرهم من أعمال السلب والنهب وتخريب طرق التجارة ومحطاتها وما فعله التركمان أتباع البابا إسحاق من حركة وعصيان وتمرد وتخريب لأراضى سلاجقة الروم بعد وفاته[٤٨] . فضلا عما سيحدث على يد أبناء تلك العشائر التركمانية من تغييرات سياسية لخريطة آسيا الصغرى .

وبناء عليه يمكن القول أن قضية توطين التركمان الذين كانوا يندفعون من الحدود الشرقية إلى داخل الأراضى السلجوقية فى آسيا الصغرى ، كانت هدفا وغاية من أهم أهداف وغايات السلطان كيقباد فى توجيه سياسته نحو الشرق ، وهو ما سيتضح خلال صفحات البحث .

كما كان اهتمام سلاجقة الروم بالجهات الشرقية نابعا من إدراكهم لأهمية ميله نهر الفرات الذى يخرج من أراضيهم ويمتد حتى يصب فى خليج فارس سواء من ناحية نقاء وصحة مياهه ، أم من ناحية صلاحية استخدامه كوسيلة طيبة للنقل والمواصلات[٤٩] .

ومن البديهى أن يكون السلطان علاء الدين كيقباد قد أدرك أهمية نهر الفرات الاقتصادية والاستيراتيجية ، فحرص كل الحرص على تحقيق نوع من الرقابة والإشراف على المدن والمحطات التجارية التى تقع عليه أو بالقرب منه بحكم أنها مواقع هامة تخدم تجارة العبور التى تهم سلاجقة الروم ، إضافة إلى أنها تمثل أسواق تجارية لها ثقلها الاقتصادى بما تمتعت به من موارد زراعية وصناعية وهذا يضيف سببا آخر لاهتمام علاء الدين كيقباد وحرصه على أمن كل من أرزنجان ، أرزن الروم ، بل وحتى حلب فى الشام ، فكلها من المدن التى منحها الفرات أهمية استراتيجية واقتصادية لا تخفى علىأحد .

ولعل فى استعراض امتداد نهر الفرات ومواقع هذه المدن منه ، ما يعزز القول بأهمية الفرات فى خدمة تجارة العبور . كما يؤيد القول بأن الفرات أعطى لتلك المدن بالفعل أهمية اقتصادية كبرى حيث منحها الخصب والرخاء ووفرة

المزروعات ، كما منحها أهمية استراتيجية بجعلها محطـــات ليـــس فقـــط للطـــرق التجارية البرية ، وإنما أيضا على الطريق النهرى للفرات والذى يصل إلـــى بـــلاد سلاجقة الروم .

فمدينة أرزن الروم التى تعتبر آخر حد بلاد الروم من جهة الشرق[٥٠] ، بـــها منبع الفرات الذى ينبع من شرقيها وشماليها[٥١] . ثم يقطع نهر الفرات بلاد الـــروم ويمر بالقرب من ملطية (بينها وبينه ميل) ، ثم يجرى ما بين ملطية وسميســـاط[*] (وهى على غرب الفرات) فيعطف إلى جهة الجنوب ويمر بسميساط ويحمل مـــن هناك السفن والأطواف إلى بغداد[٥٢] ثم يعطف بأخذ إلى الجنوب حتى يصـــل إلـــى بالس ويمر بنصيبين والرقة والرحبة وهيت والأنبار ويأخذ منه نهر عيســـى الـــذى ينتهى إلى مدينة السلام (بغداد) ثم يمر حتى يصب فى دجلة ، وأكثر ماء الفـــرات يصب فى البطائح ، ثم يمر حتى يقع فى خليـــج أيلـــة فـــى بحـــر الـــهند (البحـــر الفارسى)[٥٣] . وهكذا يمكن الاستدلال على أن نهر الفرات كان طريقا حيويـــا مـــن طرق المواصلات بين الشرق الأقصى وبلاد سلاجقة الروم .

أما أرزنجان فتقع غربى أرزن الروم (بين سيواس وأرزن الروم) فى ضفـة الفرات اليمنى حيث تجرى مياهه خلفها[٥٤] . والطريـــق التـــى بيـــن أرزن الـــروم وأرزنجان كلها مروج ومراعى[٥٥] ، ويتوافر فيها معدن النحاس ، وهى ذات هـــواء طيب[٥٦] .

ويمر الفرات أيضا فى عمل حلب من حد ملطية إلى أن يتجاوز الرقة – كمـــا أوضحنا – وهو إذا انتهى إلى الشام ودخل فى أرضها تصب فيه أنهار متعددة مـــن أعمال حلب منها النهر الأزرق وهو دون الدرب على حد بلاد الروم من الشام[٥٧] ، وكان مدخلا لبلاد سلاجقة الروم استغله الكامل فى الدخول لغزو سلاجقة الروم سنة

(*) سميساط : من بلاد الشام ، وهى على الفرات وفى الغرب عـــن قلعـــة الـــروم وفـــى الشمال عن حصن منصور وماؤها من الفرات ، أبو الفداء : تقويم البلدان ، ص٢٦٧.

٦٣٢هـ[٥٨] ، كما استخدم علاء الدين كيقباد نهر الفرات للعبور بزوارقه وجنوده إلى الضفة اليمنى لبسط نفوذه حتى أواسط امتداد نهر الفرات[٥٩] كما سيتضح لاحقا ، مما يؤكد أهمية الفرات فى المواصلات وتأثير ذلك على أمن دولة سلاجقة الروم السياسى والاقتصادى . كما يجب ألا نغفل حقيقة هامة وهى أن سلاجقة الروم كبقية الشعوب التركية – حتى وقتنا الحاضر – يعلقون أهمية كبرى على نوعية مياه الشرب التى يستعملونها . وكانت هذه المهمة معقدة وصعبة خاصة فى فترات الجفاف ، لصعوبة نقل الماء من الفرات والمشاكل المعقدة المتعلقة به . فعندما سقط عز الدين كيكاوس الأول فى قيرشهر(*) اضطر رئيس السقاة لجلب مياه الشرب من الفرات على الرغم من طول المسافة التى تبلغ حوالى ١٥٠ ميلا[٦٠] . مما يؤكد القول بأن نهر الفرات قد لعب دورا هاما لدى سلاجقة الروم من ناحية كونه أيضا منبعا مائيا لأفضل مياه صحية للشرب ، كغيره من أنهار آسيا الصغرى وينابيعها[٦١] التى انتشرت فى عصر السلاجقة انتشارا ملحوظا . لذلك كان من الطبيعى أن يولى السلطان كيقباد اهتماما كبيرا للمحافظة على سلامة وأمن واستقرار المنطقة التى ينبع منها نهر الفرات ، وكذلك أمن المناطق التى يجرى خلالها ويخترقها لما لذلك من أهمية فى خدمة النواحى الاقتصادية والاستراتيجية لبلاده .

ولا بد أن نذكر هنا عاملا آخر يعتبر من أهم العوامل التى وجهت كيقباد للاهتمام بتأمين الحدود الشرقية لبلاده . ألا وهو التهديد المغولى القادم من الشرق . إذ أن المغول بتماديهم فى الهجوم على دول الجوار مثل القبجاق والكرج كانوا قد أوقعوا الفزع والرعب فى البلاد السلجوقية والعراق والجزيرة وحتى فى بلاد الشام.

(*) قير شهر : مدينة كبيرة ذات مبانى جميلة تقع على بعد ثمانين ميلا غرب قيصرية وكانت ذات شأن .

Hamd Allah Mustawfi of Qazwin: Nuzhat AL-Qulub, p.10.

وأخذت تلوح فى الأفق مخاطر الدمار الذى الحقته هجمات المغـــول بالديـــار التـــى اجتاحوها[٦٢] .

لذلك ركز علاء الدين كيقباد اهتمامه صوب الشرق الذى يهدد دولته بخطـــر مرعب ، فأنشأ كأول تدبير أمنى أسوار وقلعة سيواس وقونيـــة وذلـــك فـــى ســـنة ٦١٨هـــ/١٢٢١م[٦٣] .

ولقد أفلح علاء الدين كيقباد بتحصينه لسيواس وغيرها من المـــدن الشـــرقية لبلاده ، إذ حدث ما كان متوقعا من جهة الشرق . فقد مثلت سنة ٦٢٩هـــ/١٢٣٣م نقطة فاصلة فى تاريخ آسيا الصغرى ، أو بالأحرى فـــى تـــاريخ ســـلاجقة الـــروم ومستقبلهم ، حيث حدث أن تقدمت الفرق العسكرية المغوليـــة برئاســـة شـــرماغون نويين[*]! نحو سيواس وقتل الكثير من البشر وأسر الكثير منهم أيضـــا ، كمـــا قـــام بتخريب العديد من المناطق حتى وصولا إلى منطقة (ابن راحت) القريبـــة مـــن سيواس . إلا أنهم بعد هذا الهجوم عادوا مسرعين . وقام السلطان علاء الدين كيقباد بعد علمه بحوادث التخريب والفوضى التى قام بها جحافل المغول باتخاذ مجموعـــة من الإجراءات الرامية إلى زيادة تحصين الحدود الشرقية لدولته مثل القيـــام ببنـــاء وتحصين المزيد من القلاع لمواجهة هذا الهجوم المحتمل . وقد أدرك المغول مـــدى قوة هذا السلطان وشهرته مع الأيام وأرسلوا له مبعوثا من طرفهم هو السفير شـــمس الدين عمر القزوينى ، وأراد المغول بذلك أن يصدقوا على ســـلطنة عـــلاء الديـــن بإرسال سفيرهم ، كما أراد ضمنا أن يدخلوه تحت تبعيتهم[٦٤] . وشمل كيقباد الســـفير ببالغ الرعاية وأحاطه بمظاهر التكريم وأخذ يعد الهدايا لإرساله للمغول، واســـتطاع علاء الدين كيقباد بهذا التصرف الحكيم أن يجنب بلاده خطورة بالغة شهدتها العهود التالية بعد وفاته .

(*) نويان ونويين : هو اللقب الذى يعنى فى لغة المغـــول كبـــار الشـــخصيات وأقـــارب السلاطين والحكام .

انظر خليل أدهم : قيصرية شهرى ، ص٥٧ .

وقد زادت هذه الحادثة من إصرار علاء الدين كيقباد الأول علـــى الاهتمـــام بالمناطق الشرقية وتحصينها وإعمارها وحشد الجموع التركمانية المقاتلة فيها وكـــان هدفه تهيئة تلك المناطق اقتصاديا وعسكريا حتى تستطيع مقاومة الأخطار التى قـــد تتعرض إليها حتى لا تتأثر بالتالى طرق تجارة العبور الشرقية ويحفظ علاء الديـــن كيقباد الشريان الرئيسى لاقتصاد دولته من مخاطر الاضطراب وعدم الاستقرار .

ملامح السياسة الشرقية للسلطان علاء الدين كيقباد الأول :

كانت سياسة السلطان علاء الدين كيقباد الأول الشرقية تقـــوم علـــى أســـاس تحقيق المصلحة العامة ، مما يعنى أنه طالما كانت تلك المناطق تنعـــم بالاســـتقرار السياسى الذى ستنعكس آثاره بطبيعة الحال على تحقيق الأمن الاقتصـــــادى ، فـــإن كيقباد لم يكن يحرك ساكنا ، سواء كانت تلك المناطق تابعـــة للأيوبيـــن كحلـــب ، خلاط ، أو لبنى منكوجك(*) كارزنجان ، أو للأراتقة كـــآمد ، أو لأبنـــاء عمومتـــه كأرزن الروم . أما عندما كانت تلوح فى الأفق بوادر النزاع والاضطراب السياســـى الذى ستنعكس آثاره السلبية على أمن الطرق والمحطات التجارية مثل ما حدث مـــن نزاع بين الأيوبيين ، والتجاء للخوارزمين ، فإنه كان يقوم بتسيير جيوشه فى ســـبيل إعادة الأمن والاستقرار للمنطقة . وبمقارنة ودراسة التحركـــات العســـكرية لعـــلاء الدين كيقباد الأول نحو الشرق يتضح أنها كانت تمتاز عن تحركات بقية أسلافه مـــن سلاجقة الروم فى أنها لم تتم فى سرعة أو تهور ، وإنما كـــانت تحركـــات متأنيـــة ومدروسة فكان كيقباد الأول يختلف فى سياسته تلك عن أخيه كيكاوس الأول الـــذى اتسمت سياسته الشرقية بالتسرع وعدم الحكمة ، مما أدى إلى فشل حملته على حلب واضطراره إلى الفرار . ويعلق المؤرخ ابن الأثير على فراره قائلا : « وإنما فعـــل هذه لأنه صبى غر لا معرفة له بالحرب »(٦٥) .

---

* بنومنكوجوك : من التركمان الذين استقروا وكونوا إمارات خاصـــة بـــهم فـــى غربـــى الفرات حيث فتحوا ارزبجان وكماخ وديوركى وقره حصار .

وكشفت كذلك سياسة كيكاوس الأول تجاه الشرق عن عدم إدراكـــه للخطـــر الصليبى الذى كان يحيط بالدولة الأيوبية ، فهو لم يتعاون معها ، بل كـــان عـــامل تهديد للنفوذ الأيوبى فى شمال الشام ، الأمر الذى شغل جزءا كبـــيرا مـــن القـــوات الأيوبية للتصدى لخطر سلاجقة الروم . ولقـــد دفـــع ســـوء تصرفـــه ذاك بعـــض المؤرخين إلى إتهامه بالقسوة والظلم بل والخيانة أيضا فيقول عنه أبو شـــامه وابـــن تغرى بردى : « إنه كان جبارا ، ظالما ، سفاكا للدماء » ولما عاد إلى بلـــده مـــن كسرة الأشراف له بحلب أتهم خوفا من أمراء دولته بأنهم قصروا فى قتال الحلبيـــين فسلق بعضهم فى القدور ، وجعل آخرين فى بيت فأحرقهم فأخذه الله بغتـــه فمـــات فجأة سكران ، وقيل ابتلى فى بدنه فتقطع »[٦٦]. بل أتهمه أبو شامه بأنه « هو الـذى أطمع الفرنج فى دمياط »[٦٧] ، بينما أشاد معظم المؤرخين بشخصية عـــلاء الديـــن كيقباد وامتدحوه ، قال سبط بن الجوزى : « كان عاقلا شجاعا مقداما جوادا ، وهـو الذى كسر الخوارزمى وكسر الكامل واستولى على بلاد الشرق »[٦٨] .

وقال عنه ابن العبرى : « كان السلطان علاء الدين كيقباد ممتازا بين ملـــوك زمانه بمنظره المخيف وذكائه المفرط وشخصه النقى المـــنزه عـــن كـــل الأهـــواء الرديئة خلافا لملوك العرب المعتادين الانغماس فيها . وكان المجرمون يهابونه جـدا إذ كان صارما فى أحكامه وقد أخضع لسلطانه مدنا واصقاعا عديدة »[٦٩] . كما قال عنه ابن بيبى : « استطاع علاء الدين كيقباد، بعون من الله تعالى أن يحول سـلطنته إلى العلو والرقى حيث حقق الانتصارات الحربية وأنشأ القلاع العظيمـــة والأبـــراج العالية»[٧٠] .

وقال عنه الذهبى : « كان شجاعا ، مهيبا ، وقورا ، سعيدا ، هزم خـــوارزم شاه واستولى على عدة مدائن » و« كان فيه عدل وإنصاف فى الجملة »[٧١] . كمـــا قال القرمانى : « كان ملكا مهابا وقورا يحب الغزو »[٧٢] . ويضيف أبو شامة وابن تغرى بـــردى : «كان عادلا منصفا مـــهيبا مـــا وقـــف لـــه مظلـــوم إلا وكشـــف ظلامته»[٧٣].

وقد كان لتلك الصفات العالية من العدل والأنصاف والقوة والشجاعة والذكاء والبعد عن الأهواء وحب الغزو آثارها الواضحة على القرارات التى اتخذها والأعمال التى قام بها ، سواء كانت تلك الأعمال تتعلق بسياساته الخارجية أم الداخلية ، بما فيها قراراته تجاه النواحى الشرقية لبلاده .

١ – سياسته نحو آمد(*) :

لا تخفى أهمية آمد فى كونها محطة تجارية بالغة الأهمية تقع على الطريق التجارى الموصل بين الشام وأرمينية وسلاجقة الروم(٧٤) . وكان أهلها يتاجرون مع جهات كثيرة شملت الشام والعراق والجزيرة والموصل وبلاد سلاجقة الروم وأرمينية وفارس (أذربيجان) والجهات الشمالية المتطرفة القريبة من بلاد الخزر، كما شلمت مصر أيضا(٧٥) . كما كان لآمد أهمية اقتصادية كبرى ففيها تتوافر مناجم النحاس خاصة فى أرغن Ergani شمال غرب آمد ، والتى كانت تعمل وتنتج فى عهد السلاجقة(٧٦) . ولم يتدخل علاء الدين كيقباد الأول فى شئون آمد أو غيرها من الممالك الشرقية حتى سنة ٦٢٣هـ/١٢٢٦م . فبعد أن اتم فتح علائية سنة ٦١٧هـ/١٢٢٠م ، وتمكن من التخلص من أمرائه الطامعين فى السيطرة والحكم فى سنة ٦١٩هـ/١٢٢٢م ، وقام بتأديب الأرمن فى قليقيه وغيرهم من الأمم المسيحية على السواحل ، بقى بقونية يصيف بها تاره وبقيسارية تارة أخرى ، ويشتى بانطالية وعلائية(٧٧) .

فلما كانت سنة ٦٢٣هـ/١٢٢٦م أثارت الخلافات بين الأيوبيين ، وهجمات الخوارزميين والتركمان ، خوف كيقباد الأول على أمن وسلامة النواحى الشرقية وخاصة آمد التى كانت تتمع بأهمية اقتصادية كبيرة . إذ لا يخفى ما فعله الخوارزميون فى نفس السنة ٦٢٣هـ عندما حاصروا خلاط وهى مفتاح البلاد

---

* آمد : من مدن ديار بكر على غربى دجلة كثيرة الشجر والزرع ، أبو الفداء : تقويم البلدان ، ص٢٨٧ .

السلجوقية ، من سوء سيرة ونهبهم البلاد وما فيهم من الفساد مدوا أيديهم فى النهب وسبى الحريم وقتلوا من أهل خلاط قتلى كثيرة ، وهو ما ينفى القول بأن الخوارزميين كانوا درعا يقى هجمات المغول لأنهم أضعفوا البلاد ونهبوها[٧٨] . وفى نفس سنة ٦٢٣هـ قام التركمان الأيوانية بقطع الطريق فى الجهات الشرقية بالقرب من تبريز ، وأخذوا من تجار أهلها شيئا كثيرا[٧٩] . ثم حدث أن دب النزاع بين المعظم الأيوبى صاحب دمشق وبين أخيه الكامل صاحب مصر ، واستنجد المعظم خلال هذا النزاع بالخوارزمية ، بينما استنجد الكامل بفردريك الثانى (الصليبى) . وانضم إلى جانب المعظم والخوارزمية صاحب آمد الملك مسعود الأرتقى الذى كان يطيع الأشرف الأيوبى صاحب الجزيرة ، ثم أطاع جلال الدين خوارزمشاه ، واتفق معه على قتال الملك الأشرف الأيوبى الذى كان بينه وبين علاء الدين كيقباد مصادقة . فأرسل إليه الأشرف يحركه على بلاد صاحب آمد ، فوجدها علاء الدين كيقباد فرصة سانحة للتحرك وحماية أمن تلك المناطق .

وبدراسة التحركات العسكرية لعلاء الدين كيقباد تجاه آمد وديار بكر نجد أنها لم تتم فى سرعة وتهور وإنما كانت سياسة مدروسة ومتأنية ومسيبة. فلم يتسرع كيقباد بإرسال حملة عسكرية لتأديب صاحب آمد الأرتقى قبل أخذ موافقة الملك الكامل الأيوبى ملك مصر .

بل يبادر بإرسال سفارة إلى الكامل فى مصر بهدية جليلة فى نفس سنة ٦٢٣هـ[٨٠] حرصا منه على استمرار حسن العلاقات مع الأيوبيين والاتحاد معهم ضد الغزاة، ثم سار علاء الدين كيقباد بنفسه إلى ملطيه وسير الأمير ابن مبارز الدين جاولى وأسد الدين كنداصطبل (إياس المجنون) إلى بلاد صاحب آمد للاستيلاء على بعض قلاعها منها شمشكازاد(*)

(*) شمشكازاد : قلعة ومدينة فى بلاد الجزيرة بين آمد وخلاط . ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـ٥ ، ص٢٩٤.

والكختا(*) ، وكان هذان الموقعان من المواقع الهامة لاحتوائهما على مناجم النحاس الذى يستخدم فى العديد من الصناعات الهامة ، فحاصروهما ، وتم استدعاء عمال المناجم قبل الاستيلاء عليهما(٨١) ، حفاظا على حياتهم . وتمكن الأمير مبارز الدين جاولى من الاستيلاء عليهما بالأمان بعد محاصرة شديدة(٨٢) . ويبدو أن استيلاء قوات علاء الدين كيقباد على هذين المصدرين المهمين لإنتاج خام النحاس كان سببا فى مسارعة الملك مسعود الارتقى إلى مراسلة الملك الأشرف الأيوبى ومصالحته للعمل على إقناع كيقباد بإعادتهما للارتقة . فأرسل الأشرف إلى السلطان كيقباد يطلب منه العودة وترك بلاد مسعود ، فغضب السلطان وقال لرسول الأشرف : « قل لصاحبك لم أكن نائبا للأشرف يأمرنى وينهانى »(٨٣) . ولما عاد الرسول إلى الأشرف ، أنجد الملك الأشرف الملك مسعود بعشرة آلاف وحاول مواجهة جيش كيقباد ، لكن الهزيمة لحقت به وأسر مقدم جيشه ، وتابع جيش كيقباد تقدمه وفتح حصن منصور(*) أيضا الذى كان على مقربة من الفرات(٨٤) ، مما أضطر الملك مسعود الأرتقى أن يرسل رسولا إلى السلطان كيقباد معه هدايا جليلة ، يطلب الصلح والصفح عما مضى ، ويلتزم أموالا يؤديها فى كل سنة ويخطب له فى جميع بلاده، فأجابه كيقباد إلى طلبه وترك ما بقى من بلاده فى يده . وقال لرسول مسعود: « إذا كان قد وقع ضرر لكم من طرفنا ، فإن هذا المأخذ راجع إلى جهل وخطأ الملك مسعود . وطالما أنه قد جاء يقدم اعتذاره فنحن أيضا بطريق العفو والصفح ونتغاضى عن قصور وأخطائه »(٨٥) . وهذا يثبت أن السلطان علاء الدين كيقباد فى سياسته نحو الشرق ، لم يكن يطمع فى الاستيلاء وتوسيع نفوذه بقدر ما كان يهدف إلى إعادة الأمن والاستقرار والحيوية الاقتصادية للمنطقة وكان تحرك

(*) قلعة الكختا : هى من بلاد الجزيرة ، وهى قلعة عالية البناء ولها بساتين ونهر وبينها وبين ملطية يومين . أبو الفداء : تقويم البلدان ، ص٢٦٣ .

(*) حصن منصور : من ثغور الجزيرة هو وملطية ويحاذى الفرات حدة الجنوبى وينحدر النهر الأزرق إلى شمال غرب حصن منصور / كى لسترانج : بلدان الخلافة الشرقية، ص٢١٥٥ .

كيقباد نحو تلك الحصون يوحى بإدراكه لأهميـــة تلــك الحصــون مــن الناحيــة الاقتصادية فحصنى كختا وشمشكازاد من المناطق الغنية بمناجم النحاس ، والنحــاس من المواد الخام الهامة فى صناعة الأوانى النحاسية وسك العملة النحاســية لذلــك رفض كيقباد تسليمهما عندما طلب الأشرف ذلك . أما حصن منصور فكـــان يقــع شمالى النهر الأزرق وجنوبى الفرات بين ملطية وسميساط[٨٦] . فـــهو إذا محطــة مهمة تصل بين ملطية وسميساط الواقعتين على نهر الفرات ، ممــا يجعلــه يلعــب دورا فى الطريق التجارى بين ديار بكر والشام وسلطنة سلاجقة الروم ، وباســتيلاء كيقباد عليها يكون قد حقق نوعا من الاستقرار للطريق التجارى الموصل إلى بــلاد الشام عن طريق الفرات .

٢ – سياسته نحو أرزنجان :

سبق أن أوضحنا أن أرزنجان من المدن الاقتصادية الهامة على نهر الفــرات وهى من المدن التى حرص كيقباد على استمرار أمنــها واســتقرارها ، واســتطاع كيقباد بمساعدة الأشرف الأيوبى بسط نفوذه على الضفة اليمنى وحتى أواسط امتــداد نهر الفرات مخترقا بذلك التحصينات التى أقامها دواد شاه ليصل إلى أرزنجــلن[٨٧] . وكانت أرزنجان بيد فخر الدين بهرامشاه من بنى منكوجك لمدة ستين ســـنة بذلــوا الطاعة خلالها لسلاطين الروم من السلجوقية وتقربوا إليهم بالمصاهرة . ولما مــات فخر الدين ملك ابنه علاء الدين داود ، الذى كان عالما فى النجوم والحكمة والطــب، ولكنه كان غافلا فى تدبير الملك وجاهلا فيه[٨٨] . فقبض على كثير من أمراء دولته وصادر أموالهــم وأملاكهم ، بل تمادى فى التشدد معهم حتى وصل به الأمر إلـــى حد إصدار أوامره بحبسهم أو بإعدامهم مما أضطر بعضهم إلى الهروب من وطنـــه خوفا من الموت ، واتجهوا إلى سلطان سلاجقة الروم كيقباد الأول وشكوا له ســـوء أفعال علاء الدين فأكرمهم السلطان ، وبعث سفيره إلى علاء الديــن داود شـــــاه يطلب إطلاق سراح بقية الأمراء وإعادة أموالهم وأملاكهم ، فتــردد علاء الديـــن

داود فى البداية ولكنه ما لبث أن أطلق سراحهم بعد ما هدده سفير السلطان بلهجة جافة(٨٩) .

وقدم أولئك الأمراء على السلطان كيقباد فأكرمهم وأقطع كل واحد منهم إقطاعًا من الأراضى الزراعية المثمرة . ولما بلغ ذلك علاء الدين داود شاه أدرك خطورة الوضع بزيادة نفوذ أمرائه وتماديهم . فأسرع بالذهاب إلى السلطان ومعه مجموعة كبيرة من الهدايا القيمة فأكرمه السلطان وقرره على ملكه بارزنجان وسيره إليه ومعه الكثير من الهدايا والأموال(٩٠) .

لما وصل علاء الدين داود شاه إلى أرزنجان حرضه قرناء السوء على الاستنجاد بالملك الأشرف الأيوبى وجلال الدين خوارزمشاه وركن الدين جهانشاه صاحب ارزن الروم ، ضد السلطان السلجوقى كيقباد فلما بلغ ذلك إلى السلطان كيقباد غضب غضبًا شديدًا ، وأرسل سرًا الأمراء والجنود إلى حدود قلعة كماخ وارزنجان ، بينما سار هو بنفسه بجيش ضخم عن طريق سيواس إلى ارزنجان وتمت السيطرة على القلاع بسرعة حسب أوامر السلطان ، حتى لا يستطيع علاء الدين داود شاه اللجوء إليها والتحصن بها . ووضع كيقباد الجنود أمام أبواب القلاع لحراستها ولم يقدر علاء الدين داود شاه على مقابلته ولم ينجده من أولئك الملوك فأضطر إلى طلب العفو من السلطان ، فصفح عنه السلطان كيقباد وأقطعة إقطاعا من الأرض فى منطقة آقشهر بالقرب من قونية يطلق عليها الآن اسم الغين Ilgin ، وأرسله هو وحاشيته ورجاله سويا إلى آقشهر(٩١) . ودخل كيقباد ارزنجان وتمت تصفية الوضع فيها ، وسلم أمرها إلى ابنه غياث الدين كيخسرو الثانى ، وعين مبارز الدين أرطقش أتابكاً له(٩٢) .

وقد أتضح من خلال مجريات أحداث فتح ارزنجان أن السلطان علاء الدين كيقباد لم يكن يهدف من جراء توجهه إلى ارزنجان تحقيق أى نوع من أنواع التوسع العسكرى أو فرض القوة ، وإنما كان يهدف إلى إعادة الأمن والاستقرار

التى كانت تتعم به سابقا ، قبل تولى علاء الدين داود الذى أســـاء معاملتـــه لكبـــار الأمراء وقتلهم ومصادرة أملاكهم مما أدى إلى انتشار الاضطراب . فلما تقدم عـلاء الدين داود شاه ملك ارزنجان بالاعتذار للسلطان كيقباد الأول ، عفى عنه الســـلطان وأقره على بلاده . كما أن تسيير كيقباد لجيوشه لم يكن نتيجة تـــهور أو تســـرع أو وليد لحظة غضب ، وإنما كان تحركا مدروسا ومسببا فقد كـــان الســـبب عظيمـــا والخطر ملوحا ، وذلك حينما استخف ملك ارزنجان بتعهده الذى عقده مع الســـلطان كيقباد ، وحاول أن ينفض تبعيته وينضم إلى الخوارزميين[٩٣] الذين عاثوا فى البـــلاد التى دخلوها فسادا وتخريبا ، مما أضطر كيقباد إلى التحرك عسكريا للقضاء علـــى ذلك الخطر ، والحفاظ على أمن المنطقة وحيويتها .

٣ – ارزن الروم :

أدرك السلطان عـــلاء الديـــن كيقبـــاد أهميـــة أرزن الـــروم الاســـتراتيجية والاقتصادية لسلاجقة الروم لذلك ظل ثابتا على نفس السياسة التى اتبعها تجاه مـــدن الشرق فلم يحاول التدخل فى شئون أرزن الروم إلا عندما اتجه صاحبها لمســـاعدة جلال الدين خوارزمشاه للاستيلاء على خلاط والتى كانت للملـــك الأشـــرف ملـــك دمشق. وهنا لاح الخطر وكان يتوجب على كيقباد سرعة التدخل عسكريا لإنقاذهـــا، فخلاط هى مفتاح بلاد الروم[٩٤] . لكنه أدرك أنه لن يستطيع مواجهة جيش جـــلال الدين الخوارزمى وحيدا ، خاصة بعد وصول الأخبار إليه بما فعله ذلـــك الجيـــش بخلاط وتمكنه من الاستيلاء عليها فى سنة ٦٢٧هـ[٩٥] . وكان لا بد لـــه مـــن أن ينسق مع الأيوبيين لإشتراكهم معه فى التعرض لهذا الخطـــر . فـــألح فـــى طلـــب مساعدة الكامل الأيوبى وأخيه الأشرف، ويصور ابن الأثير حرص كيقبـــاد وشـــدة الحاحه بقوله : «وتابع علاء الدين الرسل بذلك خوفا من جلال الديـــن ، فـــأحضر الملك الكامل أخاه الأشرف من دمشق ، فحضر عنده ، ورسل علاء الديـــن إليـــهما

متتابعة ، يحث الأشرف على المجئ إليه والاجتماع به ، حتى قيل أنه فى يوم واحد وصل إلى الكامل والأشرف من علاء الدين خمسة رسل »[٩٦] .

وقد أثبت كيقباد أنه كان حريصًا على المصلحة العامة ونشر الأمن فى جميع المناطق الشرقية سواء كانت تابعة له أم للأيوبيين الذين تداخلت حدودهم مع حدوده فى منطقة الجزيرة ، فعندما أحس كيقباد أن الخوارزميين يسببون اضطرابًا شاملاً فى اقتصاد منطقة الجزيرة بما يقترفونه من أعمال الفساد والتخريب للطرق التجارية سارع بالتحالف مع الأيوبيين ، وقدم عساكره ونفسه لإنقاذ البلاد ، موضحًا عدم وجود أى أطماع له فى المنطقة فبعد أن سقطت خلاط فى يد الخوارزميين أرسل كيقباد سفارتين أحدهما إلى الأشرف الأيوبى والأخرى إلى أخيه الكامل تضمنت السفارة الأولى التى أرسلها للأشرف قوله : « والآن فبلادى وأموالى بحكمك فتصل بالعساكر إلى قرشهر وتتجرد وحدك وتصل إلى عندى بقيسارية نتفرج ونحظى بخدمتك ونصل أنا وأنت إلى العسكر بالعساكر ، فوالله لا قنعت لك بخلاط بل بجميع البلاد »[٩٧] . وأرسل السفارة الثانية إلى الكامل الأيوبى يخبره فيها، بأنه جهز خمسة وعشرين ألفا إلى ارزنجان وعشرة آلاف إلى ملطية وقال له: « وأنا حيث تأمر ، فطاب قلب السلطان بذلك ، فكان مهتمًا لأمر الخوارزمى»[٩٨] .

ويتضح من خلال ذلك حرص كيقباد على التحالف مع الأيوبيين فى وقت عصفت بالمسلمين القوى الغازية من صليبيين ومغول ، فى الوقت الذى انساحت فيه جماعات التركمان الخوارزمية يخربون وينهبون مدن الجزيرة الغنية الخصبة والتى تداخلت حدودها مع حدود سلاجقة الروم والأيوبيين .

وقد استطاع كيقباد بحكمته وحسن سياسته أن يحقق المصلحة العامة التى كان يرمى إليها فنجح فى أيامه الأولى فى إقامة علاقات ود مع السلطان الخوارزمى جلال الدين منكبرتى ، وأخذ السفراء يغدون ويروحون لتقوية تلك الصداقة ، إلا أن

هجوم الأخير على خلاط التى كانت تحت حكم الأشرف الأيوبى حليـــف كيقبـاد . وتكوين علاقة بين الخوارزمى وبين جهانشاه أمير أرزن الروم الذى ســـاعده فـــى حصار خلاط قد أوجد الشكوك لدى كيقباد بخصوص سياسة جلال الدين ، فأرســـل إليه أحد سفرائه وهو التون آبا وبصحبته العديد من الهدايا من أجـــل أن يصـــرف النظر عن احتلال خلاط ، إلا أنه لم يستجب لطلب كيقباد ودخلت جماعاته خـــلاط ونهبوها وخربوها وقتلوا الكثير من أهلها ، مما أضطر كيقباد والذى كان حريصـــا على أمن خلاط ، أن يتحد مع الأيوبيين لدرء الخطر الخوارزمى ، وتمكنـــوا مـــن هزيمته فى رمضان سنة ٦٢٧هـــ/ اغسطس ١٢٣٠م فى مكان يعرف بياسى جمـــن (من أعمال أرزنجان)[٩٩] .

وبعد هزيمة جلال الدين الخوارزمى أسر صاحب أرزن الـــروم ، وأحضـــر عند ابن عمه علاء الدين كيقباد ، فأخذه وقصد أرزن الروم ، فسلمها صاحبها إليـــه هى وما يتبعها من القلاع والخزائن وغيرها . وكان حرص علاء الدين كيقباد علـــى أمن أرزن الروم ، انطلاقا من حرصه على حماية الطريـــق التجـــارى لســـلاجقة الروم، فكانت أرزن الروم تحمى حدود سلاجقة الروم كما أنها كانت من المنـــاطق الغنية بمراعيها ومواشيها التى تصدر إلى فارس عن طريق تبريز .

وقد فرض اضطراب أحوال التجارة على يد الخوارزميين الذين احتلوا خـلاط وعاثوا فيها فسادا ، وكذلك إغارة التركمان الأيوانية على الطرق ، ضرورة تحـــرك كيقباد . فقد حدث أن انتهز التركمان الأيوانية فرصة انشغال الخوارزمية واخـــذوا ينهبون أذربيجان ، ويقطعون الطريق ، وبلغ من طمعـــهم أنـــهم قطعـــوا الطريـــق بالقرب من تبريز ، وأخذوا من تجار أهلها شيئا كثيرا ، ومن جملة ذلـــك قطعـــان الماشية التى أشتراها تجار أرزن الروم وقصدوا بها تبريز ، فلقيهم الأيوانيـــة قبـــل

وصولهم إلى تبريز ، فأخذوا جميع ما معهم ، ومن جملته عشرون ألف رأس من الغنم[١٠٠] . وهو عدد كبير يدل على كثرة قطعان الماشية التى كانت تصدر من أرزن الروم إلى تبريز ، ومدى اتساع تلك التجارة بين البلدين .

ولم يقتصر النجاح الذى حققته سياسة كيقباد على إلحاق الهزيمة بالخوارزميين وإخضاع أرزن الروم ، بل لقد حققت تلك السياسة نتائج بعيدة الأثر وعظيمة الفائدة ، وتمثلت فى استمالة جماعات الخوارزميين الفارة بعد هزيمة جلال الدين ، من تتبع المغول . والعمل على توطينهم وتثبيتهم فى قائمة جنده ، واستخدامهم فى استرداد بعض المناطق فى أرمينية والاستيلاء على خلاط . ونجح بذلك فى اتقاء خطرهم وشرهم ، وإبعادهم عن أملاكه ، والحد من انسياحهم داخل الأراضى السلجوقية .

كما اعتقد كيقباد أنه يمكنه تحقيق عملية رابحة لدعم الدفاع عن الأراضى الشاسعة التى يحلتها عن طريق توطين الخوارزميين فيها واستغلالهم فى إعادة إحياء تلك الأراضى التى كانت قد خربت من جراء هجمات التتار والخوارزمية أنفسهم[١٠١] .

٤ – خلاط :

خاف كيقباد على خلاط خاصة عندما بلغه تعرض المملكة الأرمنية لغارات المغول المتكررة وانتهاز بعض القوات الخوارزمية الفرصة لتقوم بالتخريب وأعمال النهب وقطع الطريق[١٠٢] . كما استشعر كيقباد من السلطان الكامل بعد استيلائه على أمد والتطلع إلى بلاده ، فبادر إلى فرض سيطرته عليها[١٠٣] . وانتهز رجوع إلكامل إلى مصر وانشغال الأشرف بملاهيه[١٠٤] ، فأرسل الأمير كمال الدين كاميار الذى تمكن من الاستيلاء على خلاط سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٣م[١٠٥] ، كما

استولى على بعض القلاع المحيطة بها ، وشرع فـــى عمارتـــها بعـــد أن خربـــها الخوارزميون والتتار ، وأعاد إليها الأهالى الفلاحين الذين هربـــوا ، ووزع عليـــهم البذور والأسمدة والمواشى والغلال ، وأعفاهم من قسم من الضرائب كمـــا أصلـــح قلاعها وحصونها ، ومصادر مياهها . وعاشت هذه النواحى حالة مـــن الاســـتقرار والرفاهية وتوسعت الحركة التجارية ، فقام قسم من التركمان بـــالتوطن فـــى تلـــك النواحى[١٠٦] . ولما اقطعها لأحد أمرائه العقلاء الشجعان ذوى الخبرة وهو ســـنان الدين قايماز أمره باستمالة الخوارزميين الذين يفدون إلى تلك البـــلاد . واســـتطاع قايماز استمالة أميرهم قيرخان واقنعه بطاعة السلطان والدخول فى خدمته فأكرمـــهم ورتب لهم جميع لوازمهم ، وأقطع ارزنجان لقيرخان وعاشوا فى نواحـــى أخـــلاط وارزنجان وانتظمت أحوالهم[١٠٧] . وحقق كيقباد بذلك هدفا من أهداف توجهه إلـــى الشرق ، ألا وهو توطين التركمان للحد من خطرهم والاستفادة منـــهم فـــى إحيـــاء الأراضى الزراعية .

وحدث أن بدأت فى تلك الفترة المنافسة بين كيقباد والكامل الأيوبـــى حـــول منطقة الجزيرة خاصة بعد أن استولى الكامل على آمد وحصن كيفا واخضع حكـــام الجزيرة له سنة٦٢٩هـ/١٢٣٢م ، فأصبح للعاهلين حدود مشتركة أخذ يعمل كـــل واحد منهما على تعديلها لصالحه .

ويبدو أن الكامل فى اتجاهه نحو الجزيرة كان يهدف إلـــى الســـيطرة عليـــها وعلى بلاد الشام وانتزاعهما من اقربائه الأيوبيين ويمنحهم بدلا عنها بلاد ســـلاجقة الروم التى كان يخطط للاستيلاء عليها[١٠٨] . فخرج مع أخيه الأشرف فـــى ســـنة ٦٣١هـ/١٢٣٤م نحو بلاد الروم ، وطلب خروج العزيز صاحب حلب لمؤازرتهم،

إلا أن كيقباد سارع بمراسلة العزيز[١٠٩] واقناعه بعدم الخروج بنفسه خوفًا على حلب من دخولها فى خضم النزاع ، وهى من المدن التى حرص كيقباد على المحافظة على استمرار أمنها وسلامتها لدورها المهم فى تجارة المنطقة .

وعلى الرغم من نجاح الكامل فى عبور الفرات إلى بلاد سلاجقة الروم عن طريق خرتبرت « حصن زياد » إلا أنه فشل فى التوغل داخل البلاد بسبب وعورة المنطقة من جهة واستعداد جيش كيقباد من جهة أخرى ، مما أدى إلى ارتداد الجيش الأيوبى . واستخدم كيقباد الفرات أيضًا للعبور إلى الضفة الشرقية التى كانت تقوم عليها شحنة لحراستها[١١٠] ، فعبره هو وجنوده بالزوارق من ناحية ملطية ووصل إلى خرتبرت (حصن زياد) وكان يريد تأديب صاحبها الذى أرشد الكامل الأيوبى للدخول إلى بلاده عن طريق خرتبرت[١١١] فاحتل المدينة وطلب أهلها الأمان[١١٢] .

بل لقد حاول كيقباد الاستيلاء على الرها وحران سنة ٦٣٢هـ/١٢٣٥م منتهزًا عودة الكامل إلى بلاده من غير طائل ، وتقاعد ملوك بنى أيوب عنه . وإنما اهتم كيقباد بهما لما تتمتعان به من أهمية اقتصادية حيث تقعان على أطراف الفلوات الشمالية حيث تلتقى طرق المواصلات التى تربط بلاد الشام بالجزيرة والعراق وآسيا الصغرى . لكن الكامل تمكن من استعادتهما سنة ٦٣٣هـ/١٢٣٦م[١١٣] .

والذى يهمنا هو أن هذه المحاولات من قبل كيقباد تدل بوضوح على حرصه الشديد على منطقة الفرات وإدراكه لأهميته كطريق حيوى للمواصلات بين بلاده وبقية بلدان الجزيرة والشام .

كما استمر اهتمامه بأمن منطقة حلب حتى آخر أيام حياته ، فقام وكف غارات التركمان عن حلب فى سنة ٦٣٤هـ/١٢٣٧م وأرسل إلى زعماء حلب

يتعهد بحماية الملك الصغير الناصر يوسف ويعرض عليهم مساعدته ونصره ومنـــع من يقصده أو يتعرض لبلاده بأذى أو فساد(١١٤) .

وعندما جمع قنغز (أمير من أمراء التركمان) جمعًا كثيرًا من التركمان بعـد وفاة الملك العزيز صاحب حلب ، « وعاث فى البلاد وأطراف حلب مـــن ناحيـة قورس ، ونهب ضياعًا متعددة ، وكان يغار ويدخل إلى بلاد الروم ، فخـــرج إليـه عسكر حلب فكسرهم ونهبهم فتخوف المقدمون بحلب أن يكون ذلك بـــأمر ســلطان الروم ، فسيروا إليه رسولاً فى معناه فأنكر ذلك وأمره برد ما أخذه من بلـــد حلـب فرد بعضه ، وانكف عن العبث والفساد »(١١٥) .

وهكذا استطاع كيقباد بحسن سياسته التى اتبعها فى جذب وتوطين الجماعـات التركمانية ، أن يحقق نوعًا من السيطرة عليهم وتسييرهم حسـب أوامـره ، فكـف غاراتهم ، واستخدمهم فى إحياء الأراضى الزراعية الخصبة التـــى ســبق لـــهم أن خربوها مما عاد بالنفع على الحياة الزراعيـــة ومنتجاتـــها التـــى انعشـــت الحيـــاة الاقتصادية كما استطاع بإيثاره سياسة تحقيـــق المصلحـــة العامـــة ونشـــر الأمـــن والاستقرار فى جميع المناطق ومحاولته تجنب سياسة الاستيلاء والتوسع العســـكرى أن يكسب ثقة وود حكام وملوك الشام والجزيرة ، فبادر الأشرف صـــاحب دمشـــق وأهالى حلب وكاتبوا السلطان صاحب الروم ليكون معهم عندما تتكـــروا للكـــامل ، وطلبوا مساعدته لمنعه من بلاد الشام ، وانضمت كلمة ملوك الشام علـــى مخالفـــة الملك الكامل ، واخذوا يعتمدون على السلطان السلجوقى فى مواقفهم ضد الســـلطان الكامل(١١٦) . ولو كان علاء الدين كيقباد يطمع فى الاستيلاء على مـــدن الجزيـــرة والشام بغرض ضمها لبلاده كما فعل الكامل لما انتظمت كلمة ملوكها وإمرائها علـــى الانضمام إليه والتحالف معه .

سياسة علاء الدين كيقباد الأمنية الداخلية وأثرها فى إنعاش اقتصاد بلاده :

لم يقتصر اهتمام علاء الدين كيقباد فى سبيل تحقيق الأمن الاقتصادى لدولتـــه على الاهتمام بتأمين طرق التجارة الخارجية ، وإنما نراه يوجه اهتماماته أيضًا نحـو تحقيق الأمن الداخلى لبلاده . فقد آمن كيقباد بوجوب اتباع سياسة أمنية داخلية تكفـل تنمية مقدرات الدولة وثرواتها الداخلية . فأنشأ لحمايـــة التجـــارة الداخليـــة سلســـلة عظيمة من الخانات تقدم كل أنواع الخدمات المجانية للقوافل التجارية التى تمر عـبر أراضى الدولة(١١٧) .

وبلغ من حرص كيقباد على أمن تلك الخانات ، وسلامة القوافل التى تـــأوى إليها ، أنه لم يقتصر على حراسة تلك القوافل عن طريق جعلها فى خفـــارة قـــوات مسلحة ، أو إيجاد نقاط للأمن على طول تلك الطرق ، ولكننا نجده يحـــرص علـــى بناء تلك الخانات بطريقة تجعلها شبيهة بالقلاع ومزودة بكل وسائل الدفـــاع اتقـــاء لإنقضاضات التركمان البدو المفاجئة(١١٨) .

ومن أهم الخانات التى انشئت فى عهد كيقباد الأول خان السلطان الذى كـــان من أعظم الخانات شهرة وأكثرها روعة وهو يقع على طريق قونيه آقسراى بمدخلـه الفخم وزخارفه الجميلة ، وخدماته التجارية والاجتماعية والثقافية . وهنـــاك أيضًـــا خان ارطقوش وقادن وسعد الديـــن وكلـــها أنشـــئت فـــى عـــهد كيقبـــاد ولنفـــس الأغراض(١١٩) .

استثمار أموال الأمراء فى إنشاء الأسوار وتحصين المدن :

لما اعتلى علاء الدين كيقباد العرش ، كان المغول يجتاحون آسيا الصغـــرى ، فقام بإجراء الاحتياطات الأمنية الداخلية اللازمة لمواجهة هذا الخطـــر القـــادم مـــن الشرق . وأصدر أوامره على الفور لامرائه بإنشاء قلاع وأسوار المـــدن الشـــرقية

وسيواس وقيسارية وارزنجان . وكان علاء الدين كيقباد يهدف من بنـــاء الأســوار والقلاع وتحصين المدن إلى تحقيق هدفين مهمين :

أولهمـــا : حفظ الأمن والاستقرار لتلك المدن بما يكفل سلامة أرواح الناس وحفـــظ أموالهم من الاعتداءات الخارجية كالغزو المغولى القادم من الشـرق ، أو من الغارات وأعمال النهب والسلب التى كان يقوم بـــه التركمـــان بيـــن الحين والآخر .

وثانيهما : استحداث سياسة جديدة تهدف إلى الحد من نفوذ أمراء دولتـــه الأغنيـــاء المبذرين المتسلطين ، الذين كانوا يهددون اقتصـــــاد الدولـــة بتبذيرهـــم الأموال فى إقامة الحفلات وإنفاق الأموال فى قنوات لا ترجـــع بالفـــائدة على الدولة ، فضلاً عن أن هذه الثروات قد جعلت للأمراء مكانة ربمـــا زادت أحياناً على مكانة السلطان كما شجعتهم على المعارضة ومحاولـــة فرض إرادتهم وسيطرتهم على الأمور .

ولما تولى علاء الدين كيقباد الحكم وجد أمراء أقوياء يتمتعون بنفوذ سياســـى واقتصادى واضح ، وقد تجمعت لدى الأمراء الكبار أمثال الأمير سيف الدين أيبـــك والأمير مبارز الدين بهرامشاه أمير المجلس ، والأمير زين الدين بشاره ، والأمـــير بهاء الدين قوطلوغا ، عدة عوامل شجعتهم على الخروج عن طاعـــة الســلطان ، والسير نحو طريق السيطرة والتحكم فى أمور السلطنة ، وكان مـــن ضمـــن تلـــك العوامل طول المدة التى عاشوها فى خدمة الدولة ، وتضخـــم ثرواتـــهم الماليـــة ، ووجود دعم وتأييد وتعاطف من أفراد الشعب نتيجة كرمـــهم واغداقـــهم عليـــهم . ووصل الأمر إلى أنه فى الوقت الذى كان يصرف فى مطبخ السلطان عدد ثلاثيـــن رأساً من الماشية لعموم السرايا والشعب والعبيد ، كان الأمير ســيف الديـــن ايبـــك الجاشنكير يذبح كل يوم عدد ثمانين من الماشية فى مقر إقامته(١٢٠) .

وقد أدرك كيقباد بثاقب نظره خطورة الوضع وخاف من استفحاله ، فقـرر أن يستفيد من أموال أولئك الأمراء ويستثمرها بما يعود على الدولة بالخير والرفاهيـة ، وتحقيق الاكتفاء الذاتى فأصدر فور توليه العرش الأوامر إلى مائة وأربعيـن مـن أمرائه ببناء مائة وأربعين برجا فوق سور العاصمة قونية ، وبهذا الشكل أصبحـت قونية كاملة التحصين فى سنة ٦١٨هـ/١٢٢١م[١٢١] . كما أنفقوا جزءًا كبيرًا مـن أموالهم على إنشاء المنازل والقصور فى قونية[١٢٢] .

كذلك أمر السلطان كيقباد الأمراء بأن يبنوا فى علائية على سـاحل البحـر المتوسط أبراجًا على غرار قلاع قونية فبنوها وساهموا كذلك فى بناء ترسانة مينـاء علائية وتحصيناتها المتعددة . كما بنوا فيها العديد من المنازل والقصور[١٢٣] .

حاول كيقباد أن يقدم على فكرة السيطرة والحكم المطلق للدولة ، بعـد إتمـام فتح علائية وكان الهدف من وراء ذلك الحد من نفوذ أمرائه وكبار رجال دولتـه ، فكانت له إرادة لا تتزعزع فى إبقاء الأمراء على ولائهم لـه . وحـدث أن أشـار عليهم بتعمير أسوار سيواس بنفس طريقتهم فى إنشاء أسـوار المـدن الأخـرى ، ليستنفذ بذلك ما بقى من أموالهم ، لكن يبدو أن الأمراء لم يستطيعوا تحمل ذلـك ، وقاموا بتدبير مؤامرة ضد السلطان . ووشى أحدهم إلى السلطان بذلك الخطر ، فمـا كان من السلطان إلا أن أمر بقتل المتآمرين جميعهم . وقد تم ذلك فى قيسارية فـى يوم الاثنين ٤ جماد الأول ٦٢٠هـ/١٢٢٣م . كما عزل بقيتهم وعين مماليكه فـى مناصبهم ، « فساد الأمن والرفاهية فى البلاد فى عهده وانعدم الظلم ، فلم يبـق أى شخص يظلم الضعفاء أو الفقراء »[١٢٤] .

ومما يؤكد حرص السلطان على عدم ضياع أموال أولئك الأمراء ومحاولـة الاستفادة منها لتنمية الأحوال الاقتصادية لبلاده ما قاله ابن بيبى : « أنه على أثـر التخلص من الأمراء أرسل النواب إلى منازلهم حيث قاموا بمصادرة كـل أموالـهم

وثرواتهم ، ثم وضع الشمع والأختام عليها ، وخصصوا لها حراسة لأجل الحفـــاظ عليها »[١٢٥] . ويتابع ابن بيبى : « وبعد إعفاء علاء الدين كيقباد عن أقارب وأهالى الأمراء امتلأت خزائن الدولة بالنقود والمجوهرات الثمينة وفتحت المـــدن والقـــلاع الواقعة على الحدود وأطراف الدولة »[١٢٦] .

واستمرت سياسة كيقباد فى الاستفادة من أموال بقية الأمـــراء فـــى عمليـــات الأعمار والإنشاء فى البلاد المفتوحة أيضًا ، من ذلك إرساله الأمراء إلـــى خـــلاط للمساهمة فى إعادة أعمارها بعد أن خربها الخوارزميون ، وقام بتوجيـــه الأمـــراء لتأمين مادة الجبس نظرًا لحاجة المنطقة لها فى إصـــلاح وترميـــم القـــلاع التـــى تعرضت للتخريب فقام الأمراء بتأمين الجبس من مناطق « عادل جواز » ، وأقـــام كل أمير على نفقته الخاصة فرنًا كبيرًا لبدء العمل . وتم بناء ألف فرن خلال عـــدة أيام وقامت الجمال والحمير بنقل الجبس إلى الأماكن التى تحتاج للإصلاح ، وتمـــت عملية الأعمار بنجاح كبـــير . ووزع الأمـــراء الأراضـــى الزراعيـــة ، والبـــذور والمواشى على الأهالى، واعفوا المزارعين من الضرائب ، مما كان له أثـــره فـــى عودة الكثير من أهالى البلاد المهجرين إلى بلادهم . ولم تمض فترة قصيرة حتـــى نال الجميع مرادهم من الأمن والهدوء وإعمار البـــلاد ، وتشـــجعت بقيـــة القـــلاع المحيطة بخلاط على الدخول فى معية السلطان كيقباد[١٢٧] .

وهكذا استطاع كيقباد بانتهاجه لتلك السياسة المستنيرة الذكية والصارمـــة أن يبعد بلاده عن خضم الأزمات السياسية ، فالبلاد فى حالة نـــهوض اقتصـــادى ولا تحتمل وجود أزمات داخلية ، وإنما هى بحاجة لهدوء سياسى لتحقيق ما كان يصبـــو إليه من تقدم اقتصادى وعمرانى .

وكان أن نجحت سياسته فى اجتذاب أموال الأمراء واســـتثمارها فـــى تنميـــة الدخل القومى للدولة والاستفادة منها فى تحصين المدن ، وتعبئة الجيوش ، وإنشـــاء

القلاع والترسانات على الحدود الساحلية والداخلية ، وإعادة أعمار البـــلاد وإقامـــة المنشآت الفخمة من مساجد ومدارس ونزل وغيرها .

وإذا كان المؤرخ ابن العبرى ينتقد سياسة كيقباد مع أمرائه ويصفه بالقســـوة والشدة فى معاملة أمرائه[١٢٨] ، إلا أنه ما يلبث أن يستحسن سياسته تلك بقولـــه : « وكانت الدولة السلجوقية قبله محلولة بسبب الخلف الواقع بين أولاد قلج أرسلان فلما وليها علاء الدين أعاد جدتها وجدد ناموسها وألقى الله هيبتـــه فـــى قلـــوب الخلـــق فأطاعوه واتسع ملكه جدًا »[١٢٩] ، كما قال : « وكان المجرمون يهابونه جـــدًا ، إذ كان صارمًا فى أحكامه وقد أخضع لسلطانه مدنًا واصقاعًا عديدة »[١٣٠] .

ويعلق المؤرخ عثمان توران على سياسة كيقباد نحو أمرائه بقوله : « ونتيجة للصراع الذى دام بين كيقباد والأمراء بشأن النفوذ والسيطرة ، فقد كان أمرًا معلومًـا أن يقوم أحد الأطراف بأبعاد الطرف الآخر .. وقد فاز وكسب الجولـــة الســـلطان الشاب صاحب الذكاء والقدرة والإرادة .. ولم تتعرض الدولة للضعف خـــلال هـــذا الصراع ، بل كانت هذه الفترة من الفترات الزاهرة فى إدارة الدولة »[١٣١] .

وهذا يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك نجاح السياسة الأمنية التى اتبعـــها كيقبـــاد لتحقيق الأمن والاستقرار الداخلى لبلاده ، مما ساعده على تحقيق حلمه فـــى جعـــل بلاده من أعظم الدول المتقدمة اقتصاديًا فى القرن السابع الهجرى / الثـــالث عشـــر الميلادى .

* * *

وبعد ، فإنه يتضح من خلال البحث أن السلطان علاء الديـــن كيقبـــاد الأول أدرك منذ بداية توليه عرش سلاجقة الروم أن الاستقرار الاقتصادى هو أهم عـــامل فى بقاء دولته ، وظل تحقيق الأمن الاقتصادى لبلاده هاجسه طوال فـــترة حكمـــه . لذلك اتبع سياسة أمنية خارجية وداخلية ارتكزت على عدة أسس وخطوات صائبـــة

آتت ثمارها فى تحقيق التقدم الاقتصادى الذى شهدته دولتـــه فـــى القـــرن الســـابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى .

وكان تأمين تجارة العبور التى اعتبرت عصب الاقتصـــاد الســـلجوقى أهـــم الأهداف التى حققتها تلك السياسة وقد اتبع كيقباد فى سبيل تنفيذها الخطوات التالية:

١ – حماية المنافذ البحرية لسواحل بلاده الشمالية والجنوبية باعتبارها مراكز مهمـــة خدمت تجارة السلاجقة وذلك عن طريق إرسال حملات عسكرية لاســـتحداث موانئ وترسانات جديدة لحماية الساحل الجنوبى (علائية) والساحل الشـــمالى (حملة صغداق) ولتأديب المعتدين من القراصنة والدول التى تأويهم .

٢ – عقد اتفاقيات تجارية مع تجار دول البحر المتوسط المشتغلين بتجـــارة العبـــور تضمنت فقرة تتعلق بتأمين أولئك التجار فى البر والبحر ، وتعويضهم أموالـــهم التى فقدوها بإجبار المعتدين على دفعها أو مضاعفتها، بل ودفعها من خزينـــة الدولة بما يشبه نظام التأمين أو الضمان الحكومى فى الوقت الحاضر .

٣ – توفير الأمن للمناطق الشرقية التى تعتبر الشريان الرئيســـى لتجـــارة العبـــور والتى تربط بين شرق العالم الإسلامى وغربه ، وذلك بإتباع سياســـة تحقيـــق المصلحة العامة .

٤ – المحافظة على الأهمية الاقتصادية لنهر الفرات لكونه منبعًـــا مائيًـــا وطريقًـــا حيويًا، وذلك بحماية المدن والمحطات الواقعة عليه أو بالقرب منه ، سواء فـــى آسيا الصغرى ، أو فى الجزيرة ، أو فى شمال الشام ، ما دامت تلـــك المـــدن تلعب دوراً فى تجارة العبور . فكانت خطوة أمنيـــة هامـــة حفظـــت التـــوازن الاقتصادى فى المنطقة من التخلخل والاضطراب .

٥ – إنشاء النزل الآمنة على طول طرق القوافل التجارية الداخلية بقصـــد حمايـــة التجار وبضائعهم ، وتنشيط حركة العبور .

ولم يكن إنشاء النزل الخطوة الوحيدة التى اتخذها كيقباد لتحقيق الأمن للطـرق الداخلية إذ أدرك كيقباد أهمية المحافظة على الأمن الداخلى لبلاده كخطـــوة هامـــة لتحقيق الازدهار الاقتصادى لبلاده ، فرأى أهمية القضـــاء علـــى أيـــة بـــوادر أو محاولات قد تصدر بغرض المعارضة الداخلية من قبل أمرائـــه الأقويـــاء والذيـــن شجعتهم ثرواتهم الضخمة على التآمر ضد السلطان ، مما شكل خطرًا كبيرًا علـــى الاستقرار الداخلى للدولة . فوجه بضرورة استثمار أمـــوال كبـــار رجـــال الدولـــة لمساعدة حكومته فى بناء الجيش والترسانات ، وبناء الأسوار وتحصيـــن المـــدن ، وغيرها من المنشآت الهامة ، والمساعدة فى استصلاح الأراضى الزراعية .

وهكذا تمكن كيقباد أن يتخذ خطوات أمنية اقتصادية بالغة الأهمية تدل علـــى عقلية مستنيرة ، وكأنى به رجل من رجالات السياســـة والاقتصـــاد فـــى الوقـــت الحاضر، فأدرك أهمية توجيه القطاع الخاص فى تنمية موارد الدولـــة والنـــهوض باقتصادياتها بل وسد العجز فى ميزانياتها .

كذلك ظهرت حنكة كيقباد السياسية فى التعامل مع قضية جوهرية وهامـــة ، ألا وهى قضية توطين التركمان التى أثبتت الأحداث خطورتها على سياسة ســـلاجقة الروم . ونجح فى احتوائهم بقصد الحد من خطـــر اندفاعـــهم وانســـياحهم داخـــل الأراضى السلجوقية . وذلك بالعمل على توطينهم والاســـتفادة منـــهم فـــى إعمـــار الأراضى الزراعية خاصة على الحدود الشرقية المشهورة بخصوبتها وكأن كيقبـــاد قد استشف ما سيحدث على يد أولئك التركمان من تغيير لخريطة آســـيا الصغـــرى على يد أبناء العشائر التركمانية الذين كونوا الإمارات العشر فـــى القـــرن التـــالى (القرن الرابع عشر الميلادى) .

هذا بالإضافة إلى حرص كيقباد على تـــأمين مصـــادر الجزيـــة والاهتمـــام بتحصيلها وتأديب من رفض تأديتها لكونها مصدراً هامًا من مصادر دخـــل الدولـــة السلجوقية .

الهوامش

(١) عثمان توران : الأتابكول فى عهد السلاجقة والإمارات التركمانية ، ترجمة د. على محمد الغامدى ، ص٢١.

(٢) ابن بيبى : مختصر سلجوقنامة ، ص١٨٦ ، ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، ص٢٥٠.

(٣) إمارة نيقية البيزنطية إحدى الممالك البيزنطية التى قامت فى آسيا الصغرى بعد سقوط القسطنطينية فى يد اللاتين كما قامت إمارة بيزنطية فى طرابيزون وأخرى فى ابيروس .

(٤) عن سقوط القسطنطينية فى يد اللاتين سنة ١٢٠٤م ، انظر فلهار دوين – فتح القسطنطينية ، ترجمة حسن حبشى .

(5) C. Cahen: Pre ottoman Turkey; p. 275.

(6) Herbet Jansky: Selcuklu sultanlarinadan Birinci Alaeddin Kekubadin Emniyet politikasi p.119.

(٧) انظر للباحثة (الفتح الإسلامى لحصن كالونوروس وتحويله لميناء علائية الإسلامى) بحث منشور فى مجلة المؤرخ المصرى العدد ٢١ ، يناير ١٩٩٩م .

(8) Osman Cetin: Selcuklu Mussesleri Ve Anadoluda Islamiyt in yayilisi, Istanbul, p.171.

(٩) ف. هايد : تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى ، ص٣١٠ .

Osman Cetin: Selcuklu Mussesleri, p.171.

(10) Islam Tarihi Kultur Ve Medeniyeti, Vol. 1, p. 17, Istanbul, 1988.

(١١) المولوى ، صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٩ أ .

(١٢) ابن بيبى : مختصر سلجوقنامة ، ص١١٩ .

(١٣) المولوى : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٩ أ .

(١٤) ابن بيبى : مختصر سلجوقنامة ، ص١١٩ .

(١٥) المولوى : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٩ ب ، انظر المزيد عن فتح سغداق : ابـــن بيبى : مختصر سلجوقنامة ، ص١٢٠ – ١٢٨ .

(١٦) المولوى : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٩ ب .

(17) Islam Ansiclopedies, cilt 6, Meb, Istanbul, 1977, p. 649.

(١٨) ابن بيبى : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٩ ب .

(18) Islam Ansiclopedies, cilt 6, p. 649. Meb, Istanbul, 1977.

(٢٠) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٢ ، ص٢٣٩ .

(٢١) ابن بيبى : مختصر سلجوقنامة ، ص١٢٨ ، ١٢٩ . المولوى : صحائف الأخبـــار ، ورقة ٥٧٩ ب ، ويذكر المولوى أن كومننوس موزد الرومى كان حمـــا الســلطان غياث الدين كيخسرو .

(٢٢) ابن بيبى : مختصر سلجوقنامة ، ص١٣٠ .

(٢٣) ابن بيبى : مختصر سلجوقنامة ، ص١٣٠ .

المولوى : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٩ ب .

(٢٤) ابن بيبى : مختصر سلجوقنامة ، ص١٣٠ .

(٢٥) ابن بيبى : مختصر سلجوقنامة ، ص١٣١ .

(٢٦) ابن بيبى : مختصر سلجوقنامة ، ص١٣١ .

المولوى : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٩ ب .

(27) Osman Cetin: Selcuklu Mussesleri., P. 171.

(٢٨) تمارا رايس : السلاجقة تاريخهم وحضارتهم ، ص١٢٠ .

(٢٩) محمد فؤاد كوبريلى : قيام الدولة العثمانية ، ص٩١ ، ٩٢ .

(٣٠) ابن بيبى : مختصر سلجوقنامة ، ص١٦٤ .

(٣١) كلود كاهن : الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية ، ترجمة أحمد الشـــيخ ، ط١ ، ص٢٣٣ ، سينا للنشر ، القاهرة ، ١٩٩٥م .

(31) Osman Cetin: Selcuklu Mussesleri., P. 171.

(٣٣) ف. هايد : تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصـــور الوســطى ، ص٣٠٥ ، ٣٠٦.

(32) Osman Cetin: Selcuklu Mussesleri, p.171.

(٣٥) دائرة المعارف الإسلامية ، مادة أناضول .

(٣٦) محمد فؤاد كوبريلى : قيام الدولة العثمانية ، ص٩٤ ، ١٥٢ .

(37) Osman Cetin: Selcuklu Mussesleri, p.171.

(٣٨) كامل الغزى : تاريخ حلب ، جـ١ ، ص١٤٥ .

(39) Osman Cetin: Selcuklu Mussesleri, p.171.

(٤٠) ف. هايد : تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى ، ص ٣٠٦

(٤١) C. Cahen: Pre ottoman Turkey; p. 161. .

(٤٢) تمارا رايس : السلاجقة تاريخهم وحضارتهم ، ص١٢٧ .

(٤٣) تمارا رايس : السلاجقة تاريخهم وحضارتهم ، ص١٢٨ .

(٤٤) ابن سعيد : كتاب الجغرافية ، ص١٧١

(٤٥) دائرة المعارف الإسلامية ، مادة أناضول .

(٤٦) نيكيتا ايليسيف : الشرق الإسلامى فى العصر الوسيط ، ترجمة منصور أبو الحســن ، بيروت ، ١٩٨٦م ، ص٤٨٦

(٤٧) تجمعت أكثر تلك العشائر التركمانية بصورة رئيسية فى منطقة الحدود بين ســلطنة سلاجقة الروم وجيرانها فى شرق وجنوبى شرقى آسيا الصغرى حيث وجدوا تلــك المنطقة مناسبة لمعيشتهم الرعوية . Claud Cahen: Op. Cit. P. 145. .

(٤٨) بابا إسحاق : هو شيخ حركة البابائية الشهير وهو تركمانى الأصل ، أعلن بالاتفــاق مع مريديه راية العصيان على غياث الدين كيخسرو الثــانى (٦٣٤ - ٦٤٤هـــ/ ١٢٣٦ - ١٢٤١م) سلطان سلاجقة الروم فى عام ٦٣٨هـ/١٢٤٠م ، أنضم إليــه

الكثير من التركمان الذين كانوا يقطنون مناطق الحدود فى دولـــة ســـلاجقة الـــروم

انظر عن حركة البابائية ابن بيبى : مختصر سلجوقنامة ، ص٢٢٧ – ٢٣١ .

(٤٩) لم يغفل الجغرافيون والمؤرخون الحديث عن أهمية نهر الفرات فعن فضل الفـــرات وصحة مياهه يقول ابن العديم : (كل ماء فى نهر فطير إلا ماء فرات فإنه حمـــير لكثرة اختلاط الأهوية به وتكسير المهدزاسات له وهذه المهدزاسات عملت لتكســير حدة المياه ، قلت وإلى زمننا هذا نختار ماء الفرات للخلفاء على ماء دجلة) . ابـــن العديم : بغية الطلب فى تاريخ حلب ، م١ ، مخطوط مطبوع بـالتصوير ، ص٣٦٩. وروى أن أربعة أنهار من الجنة : النيل والفرات وسيحان وجيحـــان . وروى عـــن على رضى الله عنه ، أنه قال : (يا أهل الكوفة ، إن نـــهركم هـــذا يصـــب إليـــه ميزابان من الجنة) وروى عن جعفر بن محمد الصادق أنه شـــرب مـــن الفـــرات فحمد الله وقال : ما أعظم بركته ، لو علم الناس ما فيه من البركة لضربـــوا علـــى حافتيه القباب ولولا ما يدخله من الخطائين ما اغتمس فيـــه ذو حاجـــة إلا بـــرأ). القزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد ، ص٤٢١ (دار صادر : بـــيروت) . وعـــن أهمية نهر الفرات كطريق حيوى ومهم لنقل البضائع بين شرق العـــالم الإســـلامى وغربه يقول الدمشقى : « يسمى الفرات أحد الرافدين يعنون دجلة معه وسميا بذلـك لأنهما تجريان فى جانبى بغداد . دجلة من الشرق والفرات مـــن الغـــرب . فتـــأتى المراكب إلى بغداد فى دجلة من الصين فما بعده ومن اليمامة فما بعدها ومن الـــهند والزنج وما بعدها . وتأتى الأكلاك أيضا إلى بغـــداد فـــى الفـــرات مـــن أرمينيـــة وأذربيجان فما بعده ومن الروم والشام ومن المغرب ومصر وما بعدها .

انظر نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر ، ص٩٣ .

(٥٠) ابن سعيد المغربى : كتاب الجغرافية ، ص١٨٧ .

(٥١) أبو الفداء : تقويم البلدان ، ص٣٨٥ .

(٥٢) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص١٧٤ . ابن العديم : بغية الطلب فـــى تـــاريخ حلب ، م١ ، ص٦٣٤ . القزوينى : آثار البلاد ، ص٤٩٤ .

(٥٣) المسعودى : التنبيه والأشراف ، ص٥٢ – ابـــن العديـــم : بغيـــة الطلـــب ، م١ ، ص٦٣٥ – الدمشقى : نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر ، ص٩٣ ، ٩٤ .

(٥٤) ابن بيبى : مختصر سلجوقنامة ، ص١٣١ ،

Hamd Allah Mustawfi; Nuzhat AL-Qulub geographical part, London, 1915, p. 90.

(٥٥) أبو الفداء : تقويم البلدان ، ص٣٨٥ .

(٥٦) ابن بطوطة : الرحلة ، ص١٥٠ .

(٥٧) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب ، جـ٣ ، ص٣٦٤ – المقدســـى : أحســـن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، ص٢٠ .

(٥٨) انظر ص٢٧ من البحث .

(٥٩) ابن العبرى : تاريخ الزمان ، ص٢٨١ ، تاريخ مختصر الدول ، ص٢٥٤ .

(٦٠) تمارا رايس : السلاجقة تاريخهم وحضارتهم ، ص١٠٩ .

(٦١) يصف القزوينى بلاد الروم « بلاد واسعة من أنزه النواحى وأخصبها وأكثرها خـيرا وعجائب ذكرت فى مواضعها .. مياهها من أعذب المياه وأخفها ، وهواؤها أصـــح الأهوية وأطيبها » آثار البلاد وأخبار العباد ، ص٥٣٠ .

وتوضح ثمارا رايس ، ص١٢ أنه كان لاهتمام السلاجقة بمياه الشـــرب والأمـــور الطيبة أثر كبير فى الاستفادة من ينابيع المياه وأنه كان للســـلاجقة حمامـــات فـــى منطقة قير شهر مما يدل على وجود ينابيع بها . لكن يبدو أن الجفاف عندما يصيـب هذه الينابيع يضطر السقاة لجلب المياه من الفرات الذى يمثل منبعـــا مائيـــا دائمـــا لسلاجقة الروم .

(٦٢) خليل أدهم : قيصرية شهرى ، ص٥٧ .

(63) Herbet Jansky: Selcuklu sultanlarinadan Birinci Alaeddin Keykubadin Emniyet politikasi p.120.

(٦٤) خليل أدهم : قيصرية شهرى ، ص٦٠ .

(٦٥) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ١٢ ، ص٣٤٩ .

(٦٦) أبو شامة : تراجم رجال القرنين السادس والسابع ، المعروف بالذيل على الروضتين ، ص٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ط٢ ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٧٤م/ ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، جـ٦ ، ص٢٢٣ ، ٢٢٤ ، دار الثقافة ، القاهرة .

(٦٧) أبو شامة : تراجم رجال القرنين ، ص٢٩٨ .

(٦٨) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان ، القسم الثانى ، جـ٨ ، ص٧٠٣ ، ط١ ، حيدر أباد ، الهند ، ١٣٧١هـ/١٩٥٢م / ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، ص٢٥٠ .

(٦٩) ابن العبرى : تاريخ الزمان ، ص٢٨٣ .

(٧٠) ابن بيبى : مختصر سلجوقنامة ، ص٣١ .

(٧١) الذهبى : سير أعلام النبلاء ، جـ٣ ، ص٢٤ ، ط٨ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٢هـ ، ١٩٩٢م .

(٧٢) القرمانى : أخبار الدول وآثار الأول فى التاريخ ، ص٢٩٤ .

(٧٣) أبو شامة : تراجم رجال القرنين ، ص٢٨٨ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، جـ٤ ، ص٢٨٧ .

(74) Osman Cetin: Selcuklu Mussesleri Ve Anaddua, p.172.

(٧٥) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ١٢ ، ص١٠١ / ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، جـ١٠ ، ص٤٤ / ابن حجر : الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة ، جـ٢ ، ص٣٧٩

(٧٦) C. Cahen: Pre ottoman Turkey; p. 16.

(٧٧) المولوى ، صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٨ ب .

(٧٨) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٢ ، ص٤٦٠ .

(٧٩) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٢ ، ص٤٦٢ .

(٨٠) المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك ، جـ١ ، ق١ ، ص٢٢١ ، ط٢ ، تصحيح محمد مصطفى زيادة .

(٨١) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٢ ، ص٤٦٠ .

(٨٢) المولوى ، صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٩ ب .

(٨٣) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٢ ، ص١٩٠ – ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، جـ٥ ، ص٣٥٨ .

(٨٤) أبو الفداء : المختصر فى أخبار البشر ، جـ٣ ، ص ١٥٥ .

(٨٥) ابن بيبى : مختصر سلجوقنامة ، ص١٢٣ / المولوى : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٨ ب .

(٨٦) أبو الفداء : تقويم البلدان ، ص٢٦٩ .

(87) The Encyclopaedia of Islam, vol. IV, p. 817.

(٨٨) ابن بيبى : مختصر سلجوقنامة ، ص١٤٣ / المولوى : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٩٧ ب .

(٨٩) ابن بيبى : مختصر سلجوقنامة ، ص١٤٣ .

(٩٠) ابن بيبى : مختصر سلجوقنامة ، ص١٤٤ .

(٩١) ابن بيبى : مختصر سلجوقنامة ، ص١٥٠ .

(٩٢) ابن بيبى : مختصر سلجوقنامة ، ص١٥٠ .

(٩٣) ابن بيبى : مختصر سلجوقنامة ، ص١٤٨ .

(94) The Encyclopaedia of Islam, vol. IV, p. 817.

(٩٥) يصف ابن الأثير تملك الخوارزميين لخلاط وما فعلوه بقوله : « وخربوا خلاط ، وأكثروا القتل فيها ومن سلم هرب فى البلاد ، وسبوا الحريم ، واسترقوا الأولاد ، وباعوا الجميع » ابن الأثير : الكامل ، جـ١٢ ، ص٤٦٠ .

(٩٦) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٢ ، ص٤٩١ .

(٩٧) ابن نظيف : التاريخ المنصورى ، ص٢٠٣ ، ٢٠٤ .

(٩٨) المقريزى : السلوك ، جـ١ ، ص٢٣٨.

(٩٩) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٢ ، ص٤٩١ – ابن بيبى : مختصر سلجوقنامة ، ص١٤٩ .

Osman Turan: Selcuk Devri Vakfiyeleri, Altun Aba, Belleten, XL, Ankara, 1947, p.198.

(١٠٠) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ١٢ ، ص٤٦٢ .

(١٠١) نيكيتا ايليسيف : الشرق الإسلامى فى العصور الوسطى ، ص٤٨٨ .

(١٠٢) آبن بيبى : مختصر سلجوقنامة ، ص١٨٦ ، ١٨٧ .

(١٠٣) ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ٥ ، ص٧٧ .

(١٠٤) المولوى ، صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٩ ب .

(١٠٥) ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ٥ ، ص٧٨ . ويذكره المقريزى سنة ٦٣١هـ، السلوك : جـ١ ، ص٢٤٢ .

(106) Islam Ansiklopedesi, 6 cilt, Meb, Istanbul, 1977.

(١٠٧) المولوى ، صحائف الأخبار ، ورقة ٥٨١ أ .

(١٠٨) ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ٤ ، ص٣٢٤ .

(١٠٩) ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ٥ ، ص٧٦ .

(١١٠) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، ص٥٤ .

(١١١) ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ٥ ، ص٧٨ ، ٨٠ .

(١١٢) إبن العبرى : تاريخ الزمان ، ص٢٨١

(١١٣) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ٣ ، ص٢٢٠ / سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٦٩٤ . كانت حران تقع فى وسط المنعطف الكبير بالجانب الغربى لنهر الفرات ، وهى محطة كبرى على الطريق المؤدى من الموصل إلى حلب ، وكان لها دور تجارى بالنظر إلى عدد التجار الحرانيين الذين كانوا يوجدون فى

بغداد وسوريا ، بل وحتى فى عدن والصين . كلود كاهن : الشرق والغرب زمـــن الحروب الصليبية ، ص٢٤٩ .

(١١٤) ابن واصل : مفرج الكروب ، جـــ٥ ، ص١٣١ .

(١١٥) ابن واصل : مفرج الكروب ، جـــ٥ ، ص١٣٠ .

(١١٦) ابن واصل : مفرج الكروب ، جـــ٥ ، ص١٣٠ .

(117) S. Vryonis: The decline of medieval hellenismin Asia minor and the process of Islamzation from the eleventh through the fifteenth century, p. 221-222 – Islam Ansikliop, idisi 6 cilt, Meb, p. 659. Istanbul, 1977.

للمزيد عن الخانات التى أنشئت فى آسيا الصغرى فى عهد سلاجقة الـــروم ومـــا تقدمه من خدمات انظر :

Osman Turan, Selcuk kervan Saraylari, Beilleten 37, Aukara, 1946.

(١١٨) محمد فؤاد كوبريلى : قيام الدولة العثمانية ، ص٨٧ .

(١١٩) للمزيد عن أوصاف وخدمات هذه الخانات انظر أوقطاى أصلان آبا : فنون الـــترك وعمائرهم ، ترجمة أحمد عيسى (اسطمبول ، مركز الأبحاث والتاريخ والفنـــون والثقافة الإسلامية ، ١٩٨٧م) . نورة بادياب : قونية عاصمة ســـلطنة ســـلاجقة الروم ، رسالة دكتوراه ، لـــم تنشـــر ، جامعـــة أم القـــرى ، مكـــة المكرمـــة ، ١٤١٥هـــ/١٩٩٤م .

(١٢٠) ابن بيبى : مختصر سلجوقنامة ، ص١١٢ .

(121) Anonim: p. 29. / Osman Turan, Selcuklular Zamaninda Turkiyes p.339.

(122) Anonim: p. 29.

(123) Anonim: p. 29.

(124) Anonim: p. 30.

(١٢٥) إبن بيبى : مختصر سلجوقنامة ، ص١١٣ .

(١٢٦) ابن بيبى : مختصر سلجوقنامة ، ص١١٧ .

(١٢٧) ابن بيبى : مختصر سلجوقنامة ، ص١٨٦ ، ١٨٧ .

(١٢٨) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، ص٢٥٠ .

(١٢٩) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، ص٢٥٠ .

(١٣٠) ابن العبرى : تاريخ الزمان ، ص٢٨٣ .

(131) Osman Turan: Selcuklular Zamaninda Turkiye, p.342.

بلاد الروم

نقلاً عن كى لسترانج : بلدان الخلافة الشرقية

خريطة رقم (٢)

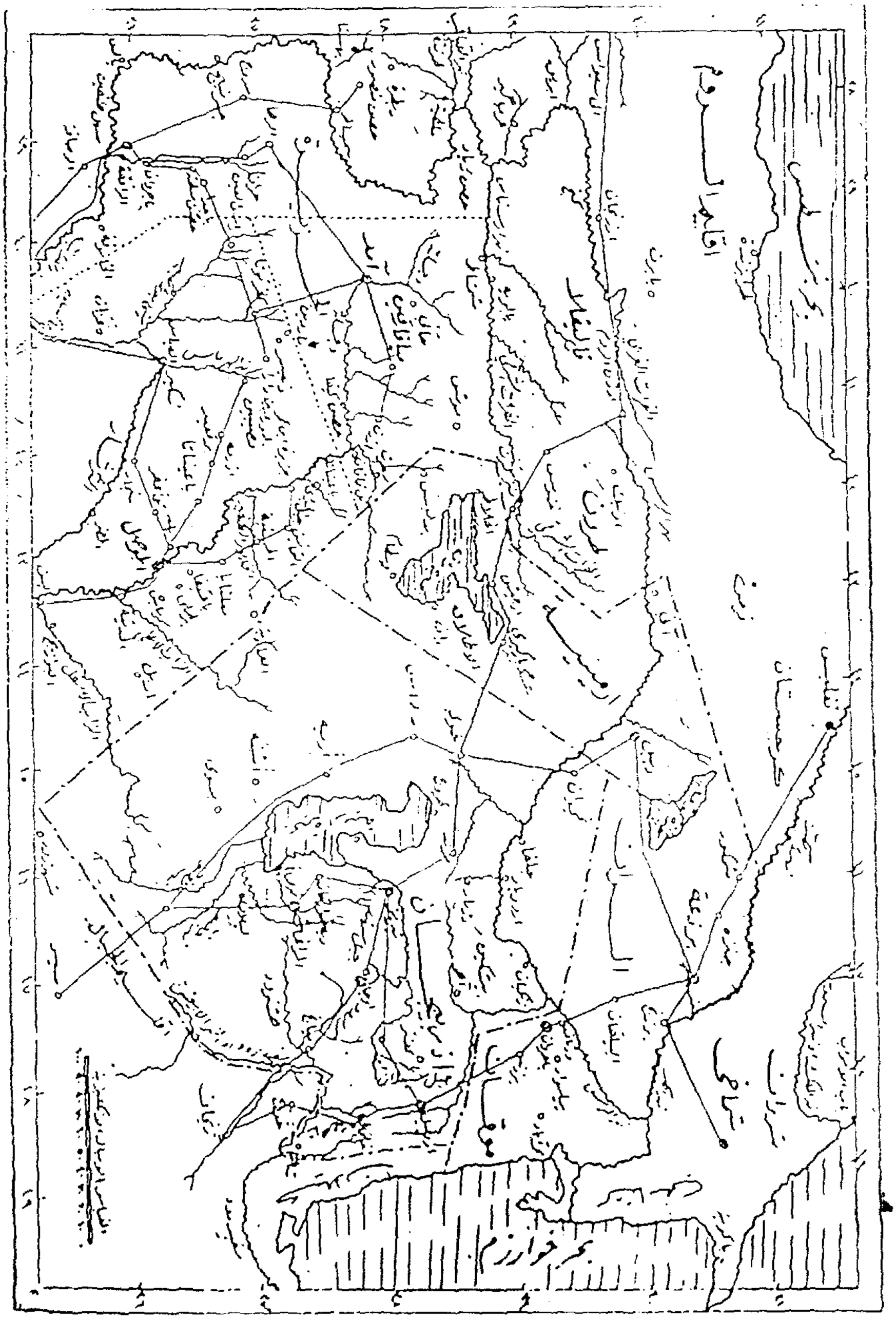

اقليما الجزيرة والاذربيجان، مع اقاليم الحدود الشمالية الغربية

خريطة توضح طرق المواصلات والتجارة بين جنوب حدود سلاجقة الروم الشرقية وبلاد الجزيرة وفارس والكرج.

خريطة رقم (٣)

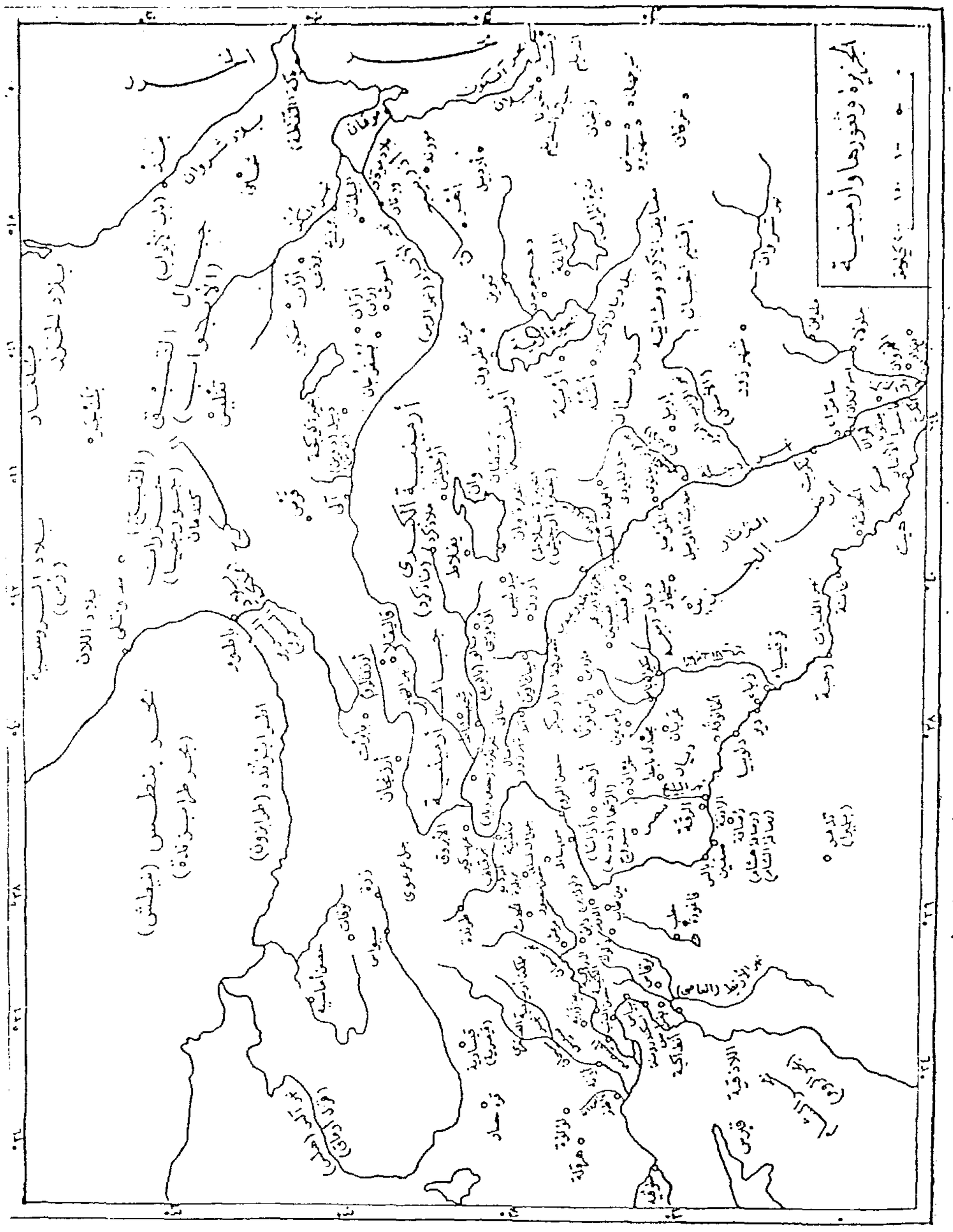

خريطة توضح اتجاه نهر الفرات وامتداده وأهم المدن والمحطات الواقعة على طريقه

نقلاً عن : د. ماجد والبنا : (الأطلس التاريخي للعالم الإسلامي في العصور الوسطى)

مصادر ومراجع البحث

أولا : المصادر والمراجع العربية والمعربة :

١ – ابنّ الأثير الجزرى (أبو الحسن على بن أبى الكرم محمد بن محمد بن عبـــد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى الملقب بعز الديــن ، ت ٦٣٠هـــ/١٢٣٢م) : الكامل فى التاريخ ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

٢ – الأدريسى (أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بـــن إدريـــس الحمـــودى الحسنى المعروف بالشـــريف الادريســـى ، ت ٥٦٠هـــ/١١٦٥م) : نزهـــة المشتاق فى اختراق الآفاق ، الطبعـــة الأولـــى ، عـــالم الكتـــب ، بـــيروت ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م .

٣ – ابن بطوطة (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد ، ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م): رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأســفار، بيروت ، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م .

٤ – ابن تغرى بردى (جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتـابكى ، ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م) : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، طبعـــة دار الكتب المصرية ، ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م

٥ – تمارايس : السلاجقة تاريخهم وحضارتهم ، ترجمة لطفى الخورى وإبراهيـــم الداقوقى ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ، ١٩٦٨م .

٦ – ابن الجوزى (شمس الدين أبو المظفر يوسف قزاو على التركى الشهير بســبط ابن الجوزى ، ت ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م) : مرآة الزمان فى تـــاريخ الأعيـــان ، القســـم الثـــانى ، جـــــ٨ ، الطبعـــة الأولـــى ، حيـــدر أبـــــاد ، الـــــهند ، ١٣٧١هـ/١٩٥٢م.

٧ – ج. م. هسى : العالم البيزنطى ، ترجمة وتعليق رأفت عبد الحميـــد ، الطبعـــة الثالثة ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٤م .

٨ – حامد زيان : حلب فى العصر الزنكى ، رســـالة ماجســـتير ، كليـــة الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٠م .

٩ – ابن حجر العسقلانى (ت ٥٨٢هـــ) : الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنـــة ، دار الجيل ، بيروت ، (د. ت) .

١٠ – الحموى (شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموى ، ت ٦٢٦هـــ/١٢٢٩م): معجم البلدان ، بيروت ١٣٩٧هـــ/١٩٧٧م .

١١ – ابن خرداذبة (أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بـــن خرداذبـــة مولـــى أمـــير المؤمنين ، ت ٣٠٠هـــ/٩١٢م) : المســـالك والممـــالك ، طبعـــة ليـــدن ، ١٨٨٩م.

١٢ – دائرة المعارف الإسلامية ، ترجمة أحمد الشنتاوى وإبراهيم خورشيد وعبـــد الحميد يونس ، طبعة دار الفكر ، ١٩٣٣م .

١٣ – الدمشقى (شمس الدين أبى عبد الله محمد أبى طالب الأنصـــارى الصوفـــى الدمشقى شيخ الربوة) : نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر ، دون تـــاريخ ، دون مكان نشر .

١٤ – الذهبى (شمس الدين محمد بن أحمد بن قايمـــاز ، ت ٧٤٨هـــ/١٣٤٧م): ســـير أعـــلام النبـــلاء ، الطبعـــة الثامنـــة ، مؤسســـة الرســـالة: بـــيروت ١٤١٢هـــ/١٩٩٢م .

١٥ – ابن ســـعيد المغربـــى (أبـــو الحســـن علـــى بـــن موســـى المغربـــى ، ت ٦٨٥هـــ/٨٢٦م) : كتاب الجغرافية ، تحقيق إسماعيل العربـــى ، بـــيروت، ١٩٧٠م .

١٦ – أبو شامة : (عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسى ، ت ٦٥٥هـ) : تراجم رجال القرنين السادس والسابع ، المعروف بالذيل على الروضتين، الطبعة الثانية ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٧٤م .

١٧ – ابن العبرى (أبو الفرج جمال الدين غريغوس الملطى، ت٦٨٣هـ/١٢٨٦م):
– تاريخ الزمان ، ترجمة الأب إسحاق أرملة ، دار المشرق : بيروت ، ١٩٨٦م .

– تاريخ مختصر الدول ، الطبعة الأولى ، (د. ت) .

١٨ – ابن العديم (كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله ، ت ٦٦٠هـ/١٢٦٢م) : بغية الطلب فى تاريخ حلب ، نشر فؤاد سزكين ، معهد تاريخ العلوم العربية الإسلامية ، فرانكفورت ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

١٩ – زبدة الحلب فى تاريخ الحلب ، تحقيق سامى الدهان ، المعهد الفرنسى بدمشق للدراسات العربية .

٢٠ – على محمد الغامدى : بلاد الشام قبيل الغزو المغولى ، الطبعة الأولى ، مكتبة الطالب الجامعى ، مكة المكرمة ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م

٢١ – أبو الفداء (الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل صاحب حماة ، ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م) : تقويم البلدان ، دار الطباعة السلطانية ، باريس ، ١٢٦٧هـ/١٨٤٠م – المختصر فى أخبار النشر ، بيروت ، بدون تاريخ.

٢٢ – ابن فضل الله العمرى (القاضى شهاب الدين ، ت ٧٤٩هـ/١٣٥٠م): التعريف بالمصطلح الشريف ، مطبعة العاصمة ، مصر ، ١٣١٢هـ .

٢٣ – ف. هايد : تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى ، ترجمة أحمد محمد رضا ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٥م .

٢٤ – القرمانى (أبو العبـــاس أحمـــد بـــن يوســـف بـــن أحمـــد الدمشـــقى ، ت ١٠١٩هـــ/١٦١٠م) : أخبار الدول وآثـــار الأول فـــى التـــاريخ ، المكتـــب التجارى للطباعة والنشر ، بيروت ، (د. ت) .

٢٥ – القزوينى : (زكريا بن محمد بن محمود ، ت ٦٨٢هـــــ/١٢٨٣م) : آثـــار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر ، بيروت (د. ت) .

٢٦ – القلقشندى (أبو العباس بن على ت ٨٢١هـــ/١٤١٨م) صبح الأعشى فـــــى صناعة الانشا ، ١٤ جزءا ، القاهرة ١٩١٩ – ١٩٢٢م .

٢٧ – كامل حسين محمد مصطفى الغزى : نهر الذهب فى تاريخ حلب ، حلـــــب ، ١٣٤٥هـــ/١٩٢٦م .

٢٨ – كلود كاهن : الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية ، ترجمة أحمد الشـــيخ ، الطبعة الأولى ، سينا للنشر ، القاهرة ، ١٩٩٥م .

٢٩ – كى لسترانج : بلدان الخلافة الشرقية ، ترجمة بشير فرنســـــيس وكوركيـــس عواد ، الطبعة الثانية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٥هـــ/١٩٨٥م .

٣٠ – محمد فؤاد كوبريلى : قيام الدولة العثمانية ، ترجمة أحمد السعيد ســـــليمان ، دار الكتاب العربى ، (د. ت) .

٣١ – المقريزى (أحمد بن على ت ٨٤٥هـــ/١٤٤١م) : الســـــلوك لمعرفـــة دول الملوك ، تحقيق محمد مصطفى زيـــادة ، مطبعـــة دار الكتـــب المصريـــة ، القاهرة.

٣٢ – المولوى (أحمد بن لطف الله المولوى الشهير منجم باشى ، كان حيـــا ســـنة ١١٣٦هـــ) : صحائف الأخبار فى وقائع الإعصار ، مخطوط بمكتبة أحمـــد الثالث باسطمبول ، رقم ١/١٢٤٥

٣٣ – ابن نظيف الحموى (أبو الفضائل محمد بن على بن نظيف عاش فى النصف الأول من القرن السابع الهجرى) : التاريخ المنصورى (تلخيص الكشف والبيان فى حوادث الزمان) ، تحقيق أبو العيد دودو ، دمشق ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٣٤ – نيكيتا ايليسيف : الشرق الإسلامى فى العصر الوسيط ، ترجمة منصور أبو الحسن ، دار الكتاب الحديث ، بيروت ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

٣٥ – ابن واصل (جمال الدين محمد بن سالم ، ت ٦٩٧هـ/١٢٩٨م) : مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب ، جـ٤ ، وجـ٥ ، تحقيق حسنين محمد ربيع وسعيد عبد الفتاح عاشور ، دار الكتب ١٩٧٧م.

ثانيا : المصادر والمراجع الأجنبية :

١ – إسماعيل غالب : تقويم مسكوكات سلجوقيه ، قسطنطينة ، ١٣٠٩هـ.

٢ – ابن بيبى (الحسين بن محمد بن على المنشئ الجعفرى ، ت ٦٨٠هـ/١٢٨١م) : مختصر سلجوقنامة ، منشور فى تنواريخ آل سلجوق ، نشرة هوتسما فى سلسلة.

Recueil de textes relatifs a L,histoire des Seldjoucides, vol, IV, Leide, 1902.

٣ – خليل أدهم : قيصرية شهرى (مبانى إسلامية وكتابة لرى تاريخ عثمانى انجى كليتى ، العدد ٥ ، اسطنبول ، ١٣٣٤هـ).

٤ – مؤلف مجهول : تاريخ آل سلجوق ، نشرة فريدون نافز أوزلك باسم Anonim فى سلسلة.

Anadolu Sedcukhlari Devleti Tarihi III Ankara, 1952.

٥ – المستوفى القزوينى (حمد الله ت ٧٥٠هـ/١٣٤٩م) : نزهة القلوب ، ترجمة الجزء الجغرافى (لسترانج G. Lestrange) بعنوان :

Hamd Allah Mustawfi of Qazwin Nuzhat AL-Qulub.
(The Geographical part), London, 1915.

6- Cahen, Claud: pre ottoman Turkey (translated from the french by J. Jone Williams) Sidawick, Jackson, London.

7- Cambridge history of Islam, vol. I. Cambridge, 1970.

8- Cetin, Osman: Selcuklu Mussesleri Ve Anadolude Islamiyetin Yayilisi, Marifet Yayinlari, Istanbul.

9- The Encyclopaedia of Islam, volume IV, leiden, E. J. Brill, 1978.

10- Islam Ansiclopedies, cilt 6, Istanbul, 1977.

11- Islam Tarih Kultur Ve Medeniyeti, Vol. 1. Istanbul, 1988.

12- Jansky, Herbet: Selcuklu sultanlarinadan Birinci Alaeddin Kekubadin Emniyet politikasi, Istanbul.

13- Turan, Osman:

- Altun Aba ve vakfiyesi, Belleten, XL, Ankara, 1947.
- Mubarizeddin Er-Tokus ve vakfiyesi (Selcuk Devrivak Fiyesi, Belleten, XL, Ankara, 1947).
- Selcuklular Zamaninda Turkiye, Istanbul, 1980.

14- Vryonis, Seperos, Jr: The Decline of Medieval Hellenism in Asia Minor and the process of Islamization of from the eleventh through the fifteenth century, London, 1971.